

مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

نبع العطاش

شعر

محيي الدين خريّف



نبع العطاش

شعر

محيي الدين خريّف

الكويت

2012

أعدّه للطباعة وراجعه

محمود البجالي

ريــم معروف

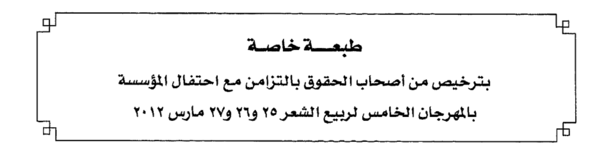
الصــف والتـنـفـيـذ

قسم الكمبيوتر في الأمانة العامة لمؤسسة

جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

الإخــراج وتصميــم الغـلاف

محـمـد العـلـي



طبعـــة خاصـة

بترخيص من أصحاب الحقوق بالتزامن مع احتفال المؤسسة

بالمهرجان الخامس لربيع الشعر ٢٥ و٢٦ و٢٧ مارس ٢٠١٢

هاتف: 22430514 - فاكس: 22455039 (+965)

E-mail : kw@albabtainprize.org

التصـديـر

يعتبر الشاعر محيي الدين خريِّف من كبار شعراء العربية في القرن العشرين، وإذا كانت تونس قد أعطت للشعر العربي صاحب البيت الشهير: «**إذا الشعب يومًا أراد الحياة...**» أبا القاسم الشابي، فإنها لم تتوقف عنده، بل استمرت في إنجاب عدد من الشعراء المهمين في المسيرة الشعرية العربية..

وقد تنبهت مؤسستنا منذ وقت مبكر لإنجازات محيي الدين خريِّف فأعطته جائزتها الكبرى عام ١٩٩٢ مقدِّرة جهوده وعطاءه الثرّ، حيث قدم للشعر العربي تسع عشرة مجموعة شعرية..

وقد أشادت الدراسات الكثيرة التي تناولت شعره وحياته بالدرس والبحث إلى أنه بدأ كتابة الشعر عام ١٩٤٩ واستمر على ذلك حتى وفاته عام ٢٠١١م..

وإيمانًا من مؤسستنا بأهمية التنبيه لجهود الشعراء البارزين والثناء على ما قدموه للأمة كلها من فيض قرائحهم، رأت المؤسسة وهي تنظم الموسم

الخامس من مهرجان ربيع الشعر في مارس ٢٠١٢ الاحتفاء بالشاعر الكبير محيي الدين خريّف والأديب الكبير الأستاذ عبدالله زكريا الأنصاري..

وضمن هذا الاحتفاء نقدم هذا الديوان الذي كان مخطوطًا ومحفوظًا لدى أسرته التي قدمته لنا واعتنينا بنشره وتقديمه هدية لتونس الجديدة القديمة وللثقافة العربية تحية من الكويت وحركتها الأدبية والثقافية..

عزيزي القارئ..

أرجو أن تجد في هذا الديوان ما يفيد ويمتع.

والحمد لله،،،

عبدالعزيز سعود البابطين

٢١ من ربيع الآخر ١٤٣٣هـ

الموافق ١٤ من مارس ٢٠١٢م

****

ذهابٌ وإياب

نمضي وليلُ الشَّوقِ لا يمضي
ونعودُ مِن سِنَةٍ إلى غَمْضِ
جرحٌ قديمٌ باتَ يُسْهِرُنا
وهوًى جديدٌ جَدَّ في الرَّكض
ألحانُنا أبدًا تُمزِّقُنا
وطموحُنا يهفو إلى الرَّفْض
إقْضِ بما قَدْ شِئْتَ يا زمنًا
ما زال في أعقابِنا يقضي
اقْطعْ يدًا كانت تُبارِكُنا
أهرِقْ دمًا أزكى مِنَ الأرض

****

الشِّفاهُ الظَّماءُ

أنتَ فردٌ وأنا في النَّاس ثاني
فمتى تُدْرِكُ مَعْناكَ المعاني
كُلَّما الغَيْثُ قلباً عاد لي
منكَ قلبٌ يَقْتَفي عُمْرَ الثَّواني
لمْ يَزَلْ يَحملنِي في نَزَقٍ
لمغانٍ دونها كُلُّ المغاني
هو شرقٌ وأنا شرقٌ ومَنْ
مِثْلُنا يبقى على مرِّ الزَّمانِ
نمتطي المجهولَ حتَّى نلتقي
بعدَ وهنٍ بأمانينا الحِسان
عندما تنطلقُ الكلمةُ مِن
شَفَةٍ ظَمْأى ومِن صَدْرٍ يُعاني
ويعودُ الدَّهْرُ طفلاً باسمًا
ينشرُ الفرحةَ في كلِّ مكان

****

المبعدون[1]

اضْدَغْ فبعدَ الأمسِ يومٌ جديدْ
تأكلُ فيهِ النَّارُ قلْبَ الحَديدْ
يطلقُ مَن قَدْ كان في أَسْرِهِ
مُكَبَّلاً بالصَّمْتِ حتَّى الجُمُود
ويفتحُ الأبوابَ للعائدِ الْـ
ـمُشْتاقِ مَلَّتْهُ هناكَ الحُدود
وجهُ كما شاء الزَّمانُ له
أمثالُهُ في صفحاتِ الجُدود
لا يقطعُ الحبلَ ولا يتَّبِعُ الظْـ
ـظِلَّ ولا يلبسُ ثَوْبَ العبيد
يَنْشِلُنَا من وصمةٍ ما لها
فيما أكالوه لنا من مَزيد
تمشي بنا الأيامُ سبَّاقةً
إلى الذي شَاءَتْ وشاءَ الوجود
فتارةً يَقذفُنا بَحرُها
وتارةً تَطْرُدُنا بالحشُود

(١) قيلت في المبعدين الفلسطينيين إلى جنوب لبنان من افترشوا الثلج ينتظرون العودة.

ونحن لا ندفعُ بالشَّرِّ ما

قَدْ نابَ من ذُلٍّ وعسفٍ مريد

كأنَّما قَدْ خُلِقَ الشَّرُّ كَيْ

نلقاهُ مهما كان خَصْمًا عنيد

فَلَمْ نُجَرِّبْ دَفْعَهُ مَرَّةً

ولم نُذِقْهُ للعدوِّ الكَنُود

فما لنا غيرُ ادّعاءَاتِنَا

نُلْبِسُها مِن قَوْلنا ما نريد

تضحكُ منَّا الشَّمسُ ترمي بنا الْـ

أمواجُ يطوينا الظَّلامُ الشَّديد

فأينَ مِنَّا زمرةٌ لم تَزَلْ

تَصْفَعُ دهرًا غالَها بالصُّمود

تفترشُ الثَّلجَ وما جَمَّدَ الثَّـ

ـلْجُ الدَّمَ القاني لها في الوريد

تُفْنَى انتظارًا هل تُرى دَهرَها

قَدْ كُبِلَتْ أيامُها بالقيود

أمْ أنَّها أكبرُ مِن لعبةِ الْـ

أيامِ أقوى من مرامي الحقود

سَلْهُمْ إذا ما جئْتَهمْ زائرًا

أَسيدٌ غالَهُمُ أمْ مَسُود

أمْ ظالمٌ ما زال في غِيِّهِ

يَغْمُرُ بالأحزانِ قلبَ الوليد

أقـــولُ قـــولاً لا أرى بَـــغْـــدَهُ
إذا دَعـا الـدّاعـي غـدًا مِـن مَجِيد
كـونُـوا كـمـا أنـتـم وكـالـصَّـخْـرِ في
سُـفـوحِـنـا يـشـربُ صـوتَ الـرُّعـود
ونــادمُــوا الأرزَ فَـمَـن نــادَمَ الأرْ
زَ فـقـد أمـسـى بِـظِـلِّ الـخُـلـود
وكـلّـمـا أشْـرَفْـتُـمُ سَـلِّـمُـوا
علـى روابـي الـقُـدْسِ حُـلْـمِ البعيد
مـنـهـا أتَـيْـنـا وهـي فـي قَلْـبـنـا
وبـعـدَ أيـامٍ إلـيـهـا نـعـود
١٩٩٣/٢/٢٣

****

العيـــد

أيُّـهــا الـعـيـدُ قِــفْ بـبـابـي قـلـيـلا

ربّـــمــا نـــوَّرَ الـــوقـــوفُ الـسَّـبـيـلا

فـيـكَ مـا فـي المـــروجِ مـن فـتـنـةِ الـسِّـحْـ

ــرِ وقَـــدْ يُــبْـــدِعُ الـجـمـيـلُ الجَـمـيـلا

أَرَجُ لا أراهُ يَـــعْـــبِـــقُ إلا

فـــي زمـــانٍ قَـــدْ فَـــكَّ عـنـه الـكُـبُـولا

وأنـــا فـــي مَـتـاهَـتـي الـيـومَ مـا زلْـ

ــتُ أرى الـنُّـــورَ خـافِـتًـا وضَـئِـيـلا

وانـتـظـاري يَـجِـبُّ قـولـي ومـــا كـا

نَ صـغـيـرًا قـد صــار شـيْـئًـا مَـهُـولا

أيـهـــا الـعـيـد إنَّـــهـــم ودَّعـــونــي

ومـــضَـــوْا والـحـديــثُ صـــارَ طـويـلا

****

المقصورة

أسيرُ ولو بُدِّلَ المُنْحنى

واسْتَسْهِلُ الصَّعْبَ رغمَ الضَّنا

وما ذاكَ مِن شيمةِ العاجزينَ

ولكنَّه العزمُ ما أنْ وَنَى

أسًى أنْ تراني أمشي ولا

ترى ما يُلاقيهِ مِنِّي الأسى

وَهَمِّيَ حُبٌّ بقلبي يعيشُ

وفي اللَّيلِ يبعدُ عنِّي الكَرى

تحمَّلْتُ ما لمْ أُطِقْ حَمْلَهُ

وأعجبُ مِن ذاكَ ما لمْ يُرَ

ويَفْضَحُني الهمسُ حين أبوحُ

وأشفقُ من لامعاتِ المُنى

ويَقْتُلني الصَّمتُ والصَّمتُ نارٌ

وحَسْبُكَ مِن حرِّ نارِ اللَّظى

وأمشي لها وهي أبعدُ مِنْها

لأرتَشِفَ الماءَ بعد الظَّما

وألْثُمُ وجهًا كوجهِ الصَّباحِ

وأقْطِفُ زهرًا كزَهْرِ الرُّبى

ولـكـنَّـنـي والـقـضـا بـيـنَـنـا
أُسَـلِّـمُ أمـري لِـكَـفِّ الـقَـضـا
لأنِّـي فـي الأرض كـنـتُ وكـانـت
بـعـيـدًا تـطـاولُ نَجْـمَ الـسَّـمـا
وأسـعـى لـهـا رغـمَ طـولِ المـدى
وأمـشـي لـهـا رغـم كـيـدِ الـعـدِا
وأُخْـبِـرُهـا عـن بـغـاثٍ تَـسـاقَـ
ـطَ فـي الأرضِ قَـبْـلَ حـلـولِ الـجَـنَـى
كِـثَـارٌ ولـكـن إذا مـا عَـدَدْتَ
فـلـيـسـوا هـنـاك ولـيـسَـوا هـنـا
كـبـارٌ ولـكـن بـأجـسـامِـهِـمْ
حـيـارى كـمـا احـتـار قَـبْـلُ الـقَـطـا
أَدِرْهـا عـلـى مـرِّ أيـامِـهِـمْ
ولا تـبْـقَـيَـنَّ عـلـى مَـنْ بَـقَـى
كـمـا اسْـتُـأْصِـلَـت دوحـةٌ فـي الخـريـفِ
وكـالـنُّـورِ فـي الـلَّـيـلِ لمـا انْـطَـفـى
مَـضَـتْ كـلُّ أيـامِ أمـجـادِهِـمْ
وعـاجَ الـشَّـقـيُّ يُـجـيـبُ الـصَّـدى
أيـا أنـتِ يـا مَـن سـكَـبْـتِ الحـروفَ
رحـيـقًـا فـأَسْـكَـرَ كُـلَّ الـدُّنـى
وأطْـلَـعْـتِ أقـمـارَ مَـجْـدٍ تـسـامـى
إلـى أنْ تـسـلَّـقَ كـلَّ الـذُّرى
أُجِـلُّـكِ عـن أنْ تـكـونـي عـقـيـمًـا
وأنْ يَـسْـتَـفِـزَّكِ بـردُ الـشِّـتـا

وأنْ تُصْبِحي سلعةً في المزادِ
لمنَ رامَ بَيْعَكِ أو مَنْ شَرَى
وأرضًا بها يرتعُ الغُرباءُ
ويضربُ أبناؤُها في العَرا
ومِن عنتٍ أنْ يموت الحبيبُ
ويحيا العدوُّ شديد القُوى
وتَسقُطُ جوهرةٌ في التُّرابِ
وتُعرضُ أصدافَهُمْ لِلمَلا
وإنِّي وإنْ كَثُرَ اليائِسونَ
وشاعَ حديثُ الضُّحى والمَسَا
وأمسيتُ جُرْحًا قديمًا وثأرًا
ينادي ويَصْرَخُ هلْ مِن فتى
فإنِّي لأؤمِنُ بالغيثِ يأتي
وبالرَّعدِ يوقظُ أهلَ القُرى
وأؤمِنُ بالخِيرةِ الطَّيبينَ
وهمْ صفوةُ النَّاسِ مِمَّن بقى
أُولَئِكَ لا المالُ أغْواهُمُ
ولا طَلبوا غيرَ كَسْبِ الثَّنا
وكم مرَّةٍ قد تحداهُمُ
الزَّمانُ فما فلَّهُمْ أو وَهَى
يُنيرونَ مثْلَ شموعِ الطَّريقِ
لمحو الظَّلامِ إذا ما دَجَا
ويغْمرهُمْ حُبُّ آبائِهِمْ
فأهلاً بذاكَ وأهلاً بِذا

فـلـيـسـوا كـمـن بـدَّلـوا ثـوبَـهُـم
وأَلْـهَـاهُـمُ الـزَّيـفُ فـيـمـنْ لَـهَـى

وضـلُّـوا الـطَّـريـقَ إلـى قَـصْـدِهِـمْ
وطـالـت بـهـمْ فـي المـسـيـرِ الـنَّـوى

فـلا عـرفـوا مَـن مـشـى قَـبْـلَـهُـمْ
ولا أدركـوا بَـعْـدَهُـمْ مَـنْ أتـى

وإنِّـي وإنْ كـنـتُ مِـنْـهُـمُ فـمـا
غَـويـتُ ولا شَـفَّـنـي مـن غَـوَى

ويَـعْـتَـلِـجُ الـشَّـوقُ فـي جـانـحـيَّ
إذا هَـدْهَـدَ الـشَّـوقُ أهـلَ الـهـوى

وأرجَـعُ أبـحـثُ عـن خِـدْرِهـا
وأرْمِـي بـنَـفْـسـيَ فـيـمَـنْ رَمَـى

وأَحـلِـفُ بـالـشِّـعْـرِ غـضًّـا وبـالـزْ
زُهـورِ تَـفَـتَّـحُ بَـعْـدَ الـنَّـدى

بـأنَّـكِ أبـقَـى وأنَّـكِ أنـقـى
بِـكِ المـبـتـدا وبـكِ الـمُـنْـتَـهـى

١٩٩٢/٧/٢

****

بيتٌ له سبعةُ أبــواب

١ - الباب الأول

ولــمَّـا دخلـتُ البـابَ نـاديـتُ أهـلَـهُ
فـجـاوَبَـنـي صـمـتٌ هـنـالِـكَ مُـطْـبِـقُ
لَـقَـدْ رحـلـوا والـبـيـتُ أصـبـحَ بعدهُـم
بـه الـنُّـورُ يـخـبو والـرِّيـاحُ تُـصَـفِّـق
نـوافِـذُهُ أركـانُـهُ حـجـراتُـهُ
تـعـيـشُ بـه الـذِّكـرى ويـحـيـا الـتَّـمـزُّق

٢ - الباب الثاني

إذا ما رأيتَ اليمامَ يطاردُهُ في الصَّباحِ المطرْ
فلا تتحدَّ الشِّتاءَ وقِفْ خاضعًا عند فردوسِهِ
وصوِّر بضوءِ النُّجومِ الشَّجَرْ
ولا تتناسَى المساءَ وقهوتَهُ
والرِّياحُ التي تتوافدُ في كلِّ حينٍ على بيتنا
وحديثُ السَّمَرْ

٣ - الباب الثالث

أنَدْخلُهُ وقد نَسِيَتْهُ بعد رحيلنا الأقدارْ
لِنُنْعِشَ ذكرياتِ الأمسِ بعد تفاقُمِ الإعْصَار
فدعهُ يصارعُ الأيامَ في إصْرارْ

فمن وله سنحضنهُ ونُخفيهِ عن الأنظارْ
ونبنيه كما قَدْ كان في إصْرارْ

٤ - الباب الرابع

لم أجد خَلْفهُ موعدًا
فرجعتُ أحبُّ الأحاديثَ في كلِّ وجهٍ أراهْ
لأنَّ الوجوهَ خرائطُ غُرْبَتِنا
ولأن الوجوهَ بحارُ متاهَتِنا
ولأن الوجوهَ حضورُ الحياةِ ببسمتنا
ولأن الزَّمانَ بها بعد حينٍ سيكبرْ
وما في الوجوهِ سَيُزْهِرُ أكثرْ

٥ - الباب الخامس

يلتقي فيه كلُّ بخيلٍ
ويرِّتلُ إنجيلهُ الفقر...
لا شيءَ يوحي بما خلفه غير ماضٍ بعيدْ
يُؤْرِقُهُ ويُؤْرِقُ مَن وَلَجَ البابْ
قَدَّ قميص الزَّمانْ
ففرَّقَ كلَّ الذي في يديهْ
وأمسى رهينَ المكانْ

٦ - الباب السادس

ينادي كلَّ مَن غابْ
ويحفرُ وحدهُ في الصَّمْتِ ذاكرةً
ليمتلئ الفراغ بكلِّ أشباحِ الفراغْ
أجَدَّ يومٌ أمْ مضى يومُ
فأين أبوكَ أين أبوكْ؟
أين كتابُهُ ماعادَ يقرأْ

طواهُ كما طوى أحلاميَ النِّسيانْ
فليس سوى هوًى تُخْفيهِ أركانُ
نقائضُ هذه الأشياءْ
تموتُ كما يموتُ الصَّوتْ
وسطَ مَجاهلِ الصَّحراءْ

٧ - **الباب السابع**

وكما مضى يمضي ولا يأتي
وتُثْقِلُ بالحنين شقوقَهُ
وأحملهُ تباريحًا
وأحملهُ.. وأحملهُ.. وأحملهُ
وكم ذا يسألُ الماضي عن الآتي
وكم ذا يسألُ الآتي عن الماضي
إذا كانت خيامُ العشقِ تبْلى
ينتهي العشقُ..
وما صُغْناه من نَغَمٍ يموتُ
على شفاهٍ جِدُّ جامدةٍ
فَخَلِّ الرياح تصفقُ الأبوابْ
سرابٌ ما تراهُ العينُ
أمْ أنَّ الحياةَ سرابْ

٨ - **الباب الثامن مكتوب عليه بيت من الشعر القديم:**

وقالوا نَـأَتْ فاختَرْ لكَ الصَّبرَ أو البُكا:
فـقـلـتُ الـبـكـا أشْـفَـى إذنْ لِـغَـلـيـلـي
١٩٨٧/١٠/٢٠

****

لا... النَّاهيـــة

لا تَـلُـمْ مَـن كـان مِـثْـلـي يـلـومُ
رُبَّ لـيـلٍ ضـيَّـعَـتْـهُ الـنُّـجـومُ

طـابَ لـي أنْ اسـتـلـذَّ الـهـوى
رفْـتُـه لـكـنَّـهُ لا يَـروم

كـلَّـمـا عـالجـتُـهُ مَـرَّةً
عـاوَدَتْـهُ فـي الـظَّـلامِ الـهُـمـوم

طَـعْـمُـهُ طـعـمُ الـرَّحـيـقِ وفـي
كَـبـدي مـنـه اسـتـجـدَّتْ كـلُـوم

مُـضْـبِـحٌ.. مُـمْـسٍ.. مُـعـادٌ.. مُعيدٌ
إذا غَـطَّـتْ سـمـائـي الـسُّـدُوم

لـو عـلـى الـبـحـر تـرسَّـمـتـهُ
لَـبَـدَا كـالمـوجِ وهـنًـا يَـعُـوم

أُمْـنِـيـاتـي بَـعْـدَهُ عـودةٌ
يـسـتـرحْ حُـبِّـي الجـديـدُ الـقـديم[1]

كـلَّـمـا ردَّدتُ أنـغـامَـهُ
رَجَّـعَ الأنـغـامَ بـعـدي الـنَّـسـيـم

هـو إنْـصـاتـي إذا مـا شَـدَا الـطَّـيْـ
ـرُ وغَـطَّـى الأرضَ نـبـتٌ عَـمـيـم

---

(١) هكذا ورد في الأصل.

يستوي فيه التُّولُّهُ ما

رُمْتُ في الغيبِ وما لا أَرُوم

كلَّما قلتُ انتهى يَبْتَدي

كالسَّنا تهربُ منهُ الغُيوم

رغمَ نارِ الجرحِ هَدْهَدْتُهُ

واستوتْ جنَّتُهُ والجحيم

إن يكنْ طالَ معي عُمْرهُ

فَهْوَ كأسي والشَّذا والنَّديم

تحتفي الذِّكرى به كلّما

هَوَّمَ الشَّوقُ الذي لا يريم

أيُّها الهاتفُ في أَضْلُعي

أنتَ في سمعيَ موسى الكَليم

ليس تخلو دارةٌ منكَ ما

شَعْشَعَ الخمرُ وراقَ الشَّميم

لا تغبْ عنِّي فإنِّي على الـ

ـعَهْدِ مُذْ ضَيَّعْتُ ودِّي مُقيم

١٩٨٧/٨/٢١

****

لوم

لائِمي أقصرْ ولا تَلُم
فلقدْ ضاعَفْتَ مِن أَلَمِي
أنتَ لا تدري بما فَعَلَتْ
قبلكَ الأيامُ في اللَّمَمِ
وَهْيَ في أعلى طَبَائِعِها
تَمزِجُ الأكدارَ بالنِّعَم
أَطْلِقيني إنَّني رَجُلٌ
وَرِثَ الأحزانَ مِن قِدَم
شَمْسُهُ بالعِزِّ مُشْرِقَةٌ
نجمهُ ما زالَ في القِمَم
دارهُ في كلِّ منزِلَة
حَظُّهُ في كُلِّ مُلْتَحِم
عابدٌ يخفي عبادتَهُ
واثقٌ في خيرِ مُعْتَصِم
عاشقٌ والعِشْقُ ضَيَّعَهُ
لابِسٌ منه إلى القَدَم
لا تَسَلْ عن حالِهِ فلقدْ
باتَ مُنْذُ الآنَ في صمَم

١٩٩٣/١٢/٢٣

****

كبريـــاء

لـن تـنـالـي مـا عـشْـتِ مـن كـبـريـائـي
أنـــتِ أرضٌ بـعـيـدةٌ عــن سـمـائـي
حَـسْـبُ نـفـسـي بـأنَّـنـي هـضـبـةٌ شَـمْـ
ـمَـاءُ وسْـطَ الـعـواصِـفِ الـنُّـكْـبـاءِ
حَـسْـبُ نـفـسـي بـأنـنـي نجـمـةٌ بَـيْـ
ـضـاءُ فـي جُـنْـحِ لـيـلـةٍ ظـلـمـاء
حَـسْـبُ نـفـسـي بـأنـنـي واحـةٌ خَـضْـ
ـراءُ فـي مَـهْـمـهٍ مِـنَ الـصَّـحـراء
لـكِ أنْ تـنـبـشـي الـدفـاتـرَ إنْ شِـئْـ
ـتِ وأنْ تَـرْفُـضـي إذا لـمْ تـشـائـي
لـكِ أن تَـسْـرجـي الـخـيـولَ وأنْ لا
تـصـرفـي داحـسًـا عـن الـغَـبْـراء
لـكِ أن تُـشْـعـلـي الـظُّـنـونَ وأنْ تَـبْـ
ـتَـدِعـي كـلَّ كـذبـةٍ حَـمْـقـاء
ذاكَ أمـــرٌ لا يـنـتـهـي طـالـمـا مـا
كـنـتُ أنـا سـائـرٌ وأنـتِ ورائـي
فَـسِّـريـنـي كـمـا يُـفَـسَّـرُ لـغـزٌ
مُـغـلَـقُ الـفـهـمِ ضـاربٌ فـي الـعَـمـاء

رغــم أنِّــي كـالمـاءِ فـي جَــام بِـلَّـوْ
رٍ شَـفـيـفٍ كـالـدَّمـعـةِ الخـرسـاء
بـيـنـنـا تـفـصـلُ المـسـافـاتُ لا ورْ
دُكِ وردي ولا انـتـمـائـي
قـدري أن أكـونَ مـنـكِ عـلـى الـقُـرْ
بِ بـعـيـدًا فـي سـاحـةٍ قَـفْـراء
أَتُـــرَاهــا بــدايــةٌ لانـتـهـائـي
أمْ تُـراهـا نـهـايـةٌ لابـتـدائـي

****

اعتـــراف

أنـــامُ وفـــي دمـــي الحـلـمُ الـشَّـهِـيُّ

وأصـحـو إذا صـحـا الـقـلـبُ الـشَّـجِـيُّ

إذا مـا سـرتُ سـار الـشِّـعـرُ خَـلْـفـي

ولـكـنْ أيـنَ مِـنْ شـعـري الـرَّوِيُّ

زمـانـي لـم يَـعُـدْ أبـدًا زمـانـي

فـخـيـرُ مـنـه مـا اعـتـنـق الخَـلِـيُّ

تـطـوفُ بـي المـنـازلُ حـيـث شـاءَتْ

ويَـغْـمُـرُنـي مـن المـوجِ الـعَـتِـيُّ

لأنِّـي لا أُسـيـمُ الخـسـفَ عَـمْـرُو

ولا لـلـشَّـرِّ جَـنَّـدَنـي عَـلِـيُّ

وكـنـتُ بـهـا أهـيـمُ ولا أُبـالـي

كـأَنِّـي فـي هـواهـا الـعـامِـرِيُّ

أمـرُّ بـهـا وقَـدْ نَـزَعـوا كـسَـاهَـا

فـيـأخـذنـي الـقـوامُ الـسَّـمْـهـرِيُّ

وأمـضـي وهـي مـن حُـرقـي لَـظَـاهـا

فـلا فـرحٌ ولا نـومٌ هَـنِـيُّ

أُسـائِـلُـهـا فـلا تُـبْـدي جـوابًـا

ودونَ جـوابِـهـا الـبـلـدُ الـقَـصِـيُّ

وأمسحُ وجْهَها في كُلِّ فَجْرٍ
وفي الأجفانِ دمعٌ لؤْلؤيُّ

فيأخذني ويمنعُ دمع عيني
صُمَاتٌ قد أحاطَ بها جَلِيُّ

أيا أمَّ الذين بَنَوْا صُروحًا
لها خَضَعَ المُكابرُ والدَّعِيُّ

سألتكِ بالهوى طفلاً غريرًا
وبالجمع الذي ضَمَّ النَّديُّ

بأَنْ لا تجعلي حَظِّي حروفًا
أُبَعْثِرُها كما يلهو الصَّبِيُّ

****

وطـــن

لأَغْـلَـى بـلادٍ لأَحْـلَـى وطـنْ
كـتـبـتُ نـشـيـدَ الـهـوى والـشَّـجَـنْ
وعـطَّـرتُ بـالـشَّـوقِ أفـيـاءَهُ
وأصْـفَـيـتُـهُ الـودَّ يـومَ الـمِـحَـن
كـمـا كـان كـنـتُ غـريـبَ الـطِّـمـاحِ
أُنـاجـيـهِ فـي سِـرِّهِ والـعَـلَـن
وأَرسـمُـهُ فـي ظـلالِ الـعـيـونِ
وألـفـظُـهُ فـي عـمـيـق الـوَسَـن
وأُبْـرِدُ مِـن مـائِـهِ غِـلَّـتـي
وآوي إلـى حُـضْـنِـهِ فـي الـزَّمـن
أحـسُّ بـه فـي دمـي نَـشْـوةً
وفـي خـاطـري لاعـجًـا مُـسْـتَـكـن
وأقـرأُهُ فـي جـبـينِ الـصُّـبـاحِ
وفـوقَ الـقِـبـابِ وتـحـتَ الـقُـنَـن
أراهُ إذا مـا الـزَّمـانُ تَـوالـى
جـديـدًا مـدى الـدَّهْـرِ لا يُـمْـتَـهَـن
يُـمـيـتُ الـعـصـورَ ويُـفـنـي الـدُّهـورَ
ويـبـقـى كـمـا كـان أو لـم يَـكُـن

أَيَــا تـونـسَ الـحُـبِّ دُومــي لنا
وكـونـي الـهـوى والـشّـذا والسَّكَن
وذُوبـــي اخــضــرارًا بـأَجْـفَـانِـنـا
ومـــاءً نمــيـــرًا وصـــوتًــا حَـسَـن
فَـضَــائـي مـديـدٌ وحُـبِّـي كـبـيـرٌ
ولـي فـيـكِ مـا نَـالَـنِـي من مِـنَـن
فـكـيـفَ أخـــونُ الـهـوى بـعـدما
تَـغَـلْـغَـلَ فـي مُـهْـجَـتـي وكَـمَـن

****

قتلٌ[1]

مهلاً فلا يُحْزِنْكَ قتلي
فزمانُ ثأري لم يُوَلِّ
مهلاً فإنّي مُذْ وُلِدْ
تُ أنوءُ في الدُّنيا بِحِمْلي
تأتي الفصولُ وكُلَّما
أرجوهْ أن أحْظى بِفَضْلي
أمُّ الخُطُوبِ أنا وكَمْ
دُسْتُ الخطوبَ أنا بِنَعْلي
ورَمَيْتُ في بحرِ الزَّما
نِ المستَبِدِّ بكلِّ ثِقْلي
لا تَحْسَبوا سَيْري تَوَقُّـ
ـفَ بعدما عَصَفوا بِرَحْلي
أنا في المدى ما زلتُ أقْـ
ـطَعُ في طريقي كُلَّ حَبْل
وأرى بعَيْني كُلَّما
يَجْري وما يَلْقاهُ مِثْلي
لا لن أموتَ ولا أموتُ
ولي هُنا ما عِشْتُ نَسْلي

(١) قيلت بمناسبة توقيع المعاهدة الفلسطينية الإسرائيلية.

فَسَلِ التُّرابَ وهذه الْـ
أرضَ التي مادَتْ بِأَهْلي
والبحرَ والزَّيتونَ والـ
ـمُدُنَ التي بُنِيَتْ لأجلي
بِيَدَيَّ أمْسِكُها وأَطْـ
ـلبُ قبلَتي كَيْما أُصَلِّي
كُلٌّ لهُ ما شاءَ، هَا
نَ الأمرُ من بَعْدِي وقَبْلي
سِيَّانَ مَنْ كَتَبوا ومَنْ
حَضَروا ومن قَدْ جاءَ يُمْلِي
يبقى الأجَلُّ وفي غَدٍ
سأَراكَ تَهْتِفُ لِلأَجَلِّ
دَعْها على مَهَلٍ وإنِّي
لم أَزَلْ أمْشي بِمَهْلي
وأرى السَّوادَ على الأديْـ
ـمِ كما أراهُ بِجُنْحِ لَيْل
يتفقَّدُ النَّارَ التي اخْـ
ـتَبَأَتْ ويقتلُ كُلَّ ذُلِّ

١٩٩٣/٩/٢٥

****

الحديثُ حديثٌ

لَمْ يَعُدْ لي فيما أقولُ حديثٌ
بعدما فاتني المسيرُ الحثيثُ
أُخْمِدَتْ جذوةُ الكلام ومن بعْـ
ـضِ كلامي الجديدِ والموروث
ومضى ما مضى وجاءَ مِن الأحْـ
ـداثِ ما صرتُ بعدها أستغيث
هذه موجةٌ تدافع أموا
جًا وهذا جوى بقلبي يَعِيث
واصطباري وكيفَ لي باصطباري
والليالي حديثُها مَبْثوث
أنا عاهدتُها بأنْ أَزرع الظُّلْـ
ـمَةَ نورًا والليلُ خَصْمٌ خَبِيث
وأسوقُ الرَّبيعَ في زمنِ الجَدْ
بِ إذا لم يُبَلِّلِ الأرضَ غَيْث
غيرَ أنْ الحروفَ جسرُ الأماني
والأماني مردودُهُنَّ رَثِيث
عاتبيني ما شِئْتِ واستبقي البا
بَ وجِدِّي فَلِلْعيونِ بُعوث

وتَـخلَّـي عـن وجـهـكِ الـفـاتِـنِ الـرَّيْـ

ـيَـانِ مـا دُمْـتُ لـلـوعـودِ نَـكُـوث

واحْشُـريـنـي فـي زمـرةِ الـمُسْـتَخْفيـ

ـنَ فَـإنّـي الـتَّـربـيـعُ والـتَّـثْـلـيـث

ذاكَ أَنِّـي رأيـتُ مـا لَـمْ تَـرَ الـعيْـ

ـنُ وأغـضـيـتُ والـحـديـثُ حـديـث

****

قدرُ المواهبِ مرّةً أخرى[1]

مــا زلــتُ مِـثْـلَـكَ ذاهــبًــا أو آيـبَـا

ألـقـى الـزّمـانَ مـكـافِـحًـا ومُـحـاربـا

فــإذا ضَـمَـمْـتَ إلــيَّ جـرحًـا عـادَنِـي

جـــرحٌ يمــهِّـدُ لـلـجـراحِ مـسـارِبـا

أنـا مـا كـرهـتُ الـنَّـارَ تَحْـرِقُ جَبْهَتي

أنـا مـا نـكـرتُ الـقَـيْـضَ يلـفـحُ لاهِـبـا

خـوَّضـتُ فـي الأشـــواكِ أمـشـي حـافـيـا

وقـطـعـتُ صـحـراءَ الـحـيـاةِ مُـغـالـبـا

وبـنـيـتُ لــلأحــزانِ دارًا شِـيْـدْتُـهـا

بـالـصَّـبـرِ مَـشْـروبًـا وطَـــورًا شَـارِبـا

ورضــيـتُ فـي وطـنـي بمـا قَــدْ نَـالـنـي

إنْ كـنـتُ مـطـلـوبًـا بــه أو طَـالِـبـا

أنـــا مــنـهُ حـتَّـى لـو كـتـبـتُ قـصـائـدي

بـدمـي وأذريــــتُ الـدُّمـوعَ سَـواكِـبـا

وتَـخــدَّرَ الـحـقـدُ الـدَّفـيـنُ بـجـانـحـي

وتَجَــمَّـعَ الـحــزنُ المـريـرُ سـحـائِـبـا

---

(١) لما قرأت قصيدة الأستاذ الكبير والشاعر الملهم محمد خليفة التليسي «قدر المواهب» عاد بي هاجس الحديث فكانت هذه القصيدة.

ولقيتُ من عَنَتِ الذين أُحِبُّهُم

قدرًا يجرُّ غرائبًا وعجائبا

أهواك يا وطني غريبًا فيكَ أو

شبحًا يُرى خلفَ الزمانِ مُوَاريَا

أنا مَن سَكَبْتُ من الأغاني عَذْبها

وشدوتُ باسمكَ واحتسبتُ الواهِبا

وشَرِبْتُ ماءَكَ سلسبيلاً وِرْدُهُ

وعشقتُ بحركَ في الشُّواطِئ غاضِبا

أنا لستُ مِمَّن بدَّل الأسماءَ بالْـ

أسماءِ مكذوبًا عليَّ وكاذِبا

واستنزفَ الدَّمَ من عروقكَ جاريًا

ولَهَى بِضَرْعِكَ رَاضِعًا أو حَالِبًا

أنا ما خلعتُ الثَّوْبَ أو بدلْتُهُ

أبدًا ولا غيَّرْتُ يومًا صاحِبا

فخطوطُ رسمكَ لمْ تزلْ في جبهتي

نورًا يزيحُ مِنَ الظَّلام غَيَاهِبا

أسري ونوركَ في حنايا أَضْلُعي

نجمًا يُضيءُ مشارِقًا ومَغَارِبا

في كُلِّ أرضِ اللّه كنتَ مؤانِسِي

أنَّي ذهبتُ أراكَ دومًا واثِبا

ما بالُ منْ جعلوا المطامِعَ هَمَّهُمْ

يَبْرونَ أظفارًا لَهُم ومَخَالِبا

باعوكَ بالبخْسِ الرَّخيصِ وغيَّبوا
في أفقِكَ الزَّاهي المنيرَ كواكِبا
كانت سَتُغْشي عيونَهُمْ لو أشرقَتْ
ليلاً وتفضحُ في الظَّلامِ ثَعَالبا
لبسوا مسوحَ الزَّيفِ حتّى خِلْتَهُمْ
زيفًا بدا للعينِ يكسِرُ حاجِبا
مُتَنَمِّرينَ على القريبِ وهُمْ إذا
حَضَرَ الغريبُ كما رأيتَ أرانِبا
لا يدفَعون أذًى إذا غاداهُمُ
أو ينفعونَ أحبةً وأقاربا
حسبُ امرئٍ منهُمُ غنيمةُ يَوْمِهِ
حتَّى إذا أثْرى تَنَحَّى جانِبا
متخلِّيا عَن كُلِّ مكرمةٍ بها
يسمو ويَسْهَرُ بعدَ ذلك حاسِبا
ومن الحسابِ دقائقٌ من عُمرِهِ
تمضي وتفسحُ للهمومِ مَسَارِبا
فاحمدْ هنا زمنَ النَّوابغِ إنَّهُ
زمِنٌ يطيبُ مطاعمًا ومَشَاربا
يتفيأونَ ظلالَ حسٍّ عارِمٍ
ويلملمونَ من الشُّموسِ ذوائِبا
في كُلِّ عينٍ رفةٌ من حُبِّهِمْ
وبكلِّ قلبٍ يَزْرَعونَ أطايِبا

فَـأجـلُّ مـن صـنـعَ الخـلـودَ عـقـولُـهُـمْ

وأعـــزُّ مَـــن مـسـك الـــزَّمـــان الـذاهـبـا

إن كـنـت تـبـصـرُهـم يـغـيـبُ صـوتـهُـمْ

أو يـشـربـونَ مـعَ المـيـاهِ شَـوَائِـبـا

فَـلأنَّـهـم مـلـحُ الحـيـاةِ وطـيـبُـهـا

لا يـخـلـفـونَ ضـمـيـرهـم والـواجِـبـا

شَـهـدُوا بمـا عَـلِـمـوا وتـلـك حظوظُـهـم

مَـن ذا يـعـنِّـفُ شـاعـرًا أو كـاتِـبـا

١٩٩١/٥/٢١

****

عَرِيبٌ

سَلْ عن طريقِ الشَّمسِ قافلتي

وعَنِ السَّنا المخضوبِ قافِيَتي

وأسألْ عريبًا كيف هَدْهَدَها

شِعْري وكيف توسَّدَتْ رِئَتِي

أشْرَبْتُها حُبِّي فما رَوِيَتْ

وَسَقَيْتُها مِن خَمْرِ دالِيَتي

وَفَطَمْتُ عِشْقي بعدها وَلَمْ

أهوى وأعشَقُ وهي فاتِنَتي

سِرْنا معًا من يوم أنْ طَلَعَتْ

شَمْسي وخاطَ الفَجْرُ أَلْوِيَتي

ما كُنْتُ أبْغِي بعدها بدلا

وَلَوْ اشْتَكي رَكْبي وراحِلَتِي

قَدْ تأخذُ الأيامُ ما وَهَبَتْ

وتُجِدُّ من فَرْضِي ونَافِلَتي

لكنَّ ما ضَمَّتْهُ أَجْنِحَتي

يَبْقى كَبَرْدِ الماءِ في شَفَتي

ناديتُ حتَّى بُحَّ صَوْتي وفي

أعقابِهِ ضَيَّعْتُ أَسْئِلَتي

خَبَّأْتُ سِرِّي في مَرَافِئِهَا
والبحرُ لم يَعْبَأْ بأغْنِيَتي
وسألتُ عنها الليلَ حين دَجَى
والليلُ يعرفُ كُلَّ مَلْحَمَتي
وغَدَوتُ في طُرقَاتِها تَعِبًا
أُمْسي وأُصْبِحُ وهي ذاكِرَتي
ونَزَلْتُ فوقَ سِياجِها مطرًا
ومِنَ الغُيوم غَزَلْتُ أرْدِيَتي
أنَا ما عَصَيْتُ لها هوًى أبدًا
أنا ما حَبَسْتُ مياه ساقِيَتي
أَنَا ما سَمِعْتُ حديثَ واشِيَةٍ
فيها ولا صَدَّقْتُ عاذِلَتي
هي ظِلُّ أشجاري أفيئُ لها
وحديثُ أسْماري وسَاحِرَتي
وكتابُ أشْعَاري وراوِيَتي
وحريرُ أقلامي ومِحْبَرَتي
سَمَّيْتُها «بغدادَ» في حُلُمي
ودَعَوْتُها «لبنانَ» في سِنتي
وفَتَحْتُ بابَ «القيروانِ» لها
وجَعَلْتُها شُغْلِي وشاغِلَتي
ما بالُها صدَّتْ فما رَجَعَتْ
والخوفُ يَسْكُنُ كُلَّ أَرْوِقَتي
والمستهينُ بها يُؤَلِّبُهُ
حِقْدٌ فَيجدِلُ حَبْلَ مِشْنَقَتي

ما بينَ مَنْفايَ وغُرْبَتِها
عَتَّقْتُ أحزاني بخابِيَتي
وطويتُ أوْجاعِيْ على مَضَضٍ
ودَفَنْتُ في الأحشاءِ مُعْضِلَتي
وبرَغْمِ ما أَلَقاهُ مِن أَلَمٍ
وبِرَغْمِ ما أَجْنيهِ من عَنَتِ
أَبْقى لها وبها وأجْعَلُها
ناري إذا ضَيَّعْتُ مِدْفَأتي
أنا لمْ أَزَلْ أَقْتاتُ مِن ظَمَأي
مُنْذُ اختَفَتْ في الغَيْبِ ساقِيَتي
أتبرَّضُ الحزنَ العتيقَ ومِنْ
حُزْني رَفَعْتُ جِدارَ مَظْلَمَتي
رُدُّوا لها وَجْهًا كما طَلَعَتْ
شمسٌ على أَفْنانِ مونِقَة
وتَفَقَّدوا طينًا لها عَطِرًا
ورؤًى أُقَلِّبُها بخاطِرَتي
للخُلْدِ أدْفَعُها وتَدْفَعُني
وبها أُداوي جِراحَ أَزْمِنَتي

١٩٨٩/١١/٢٣

****

ثابت يبحث عـــن أخيه عقيل

لا تَـسَـلْـنـي وَسَـــلْ زمــانًــا تـــردَّى

كـــان جَـــزْرًا وأصـــبـــحَ الآن مَـــدًّا

لا تـسـلـنـي وأنـــتَ أعـــرفُ بـالـــمَـا

ضِــي وأدرى بمــا اسـتـهـلَّ وَجَـــدًّا

حــين كنَّا كـالـدَّهـرِ في صَـفْـوِهِ والـشَّـمـ

ـــسُ فــي شَـــرْقِـــهـــا سـنـــاءً وبُـــعْـــدا

حــين جُـبْـنـا الأقـطـارَ نـطـوي مَـداهــا

ورفــعــنـــا الـــبــنـــودَ بـــنـــدًا فَـــبَـــنْـــدا

مــا لـنــا مِـــن عِـــتَـــادِهـــا غَـــيْـــرَ إيمـا

نٍ يَـــهِـــدُّ الجـــبـــالَ فـــي الـــكـــونِ هَـــدًّا

هَـبَـطَـتْ لـلـحـضـيـضِ أيـامُـنــا مـا

كــان منـهـا مَـثْـنَـى ومــا كــان فــردا

واســتـوى الـنُّـورُ والـظَّــلامُ ومــا يَـأْ

تــي ومــا لــمْ يـجــيءُ ومــا لــم يُـــؤَدَّا

يــا بـــلادي ولــســتُ أعـــدَمُ مَـــن يَـسْـ

ـــمَـــعُ فـيـكِ الـكـلامَ لـلـخـيـرِ يُـسْـدّى

كَـبِـدي إن ضَـمَـمْـتُـهـا فـهـي منِّـي

وجِـــراحــي إنْ صُـنْـتُـهـا كـــان أجْـــدَى

كَبُرَ الحقدُ أنْ يكون لهيبًا
والقريبُ الأدنى العدوُّ الألَدَّا
قَدْ نَكَثْنا الوعودَ والوعدُ صدقٌ
ونَسِينا الذي مضى وتَعَدَّى
ومَحَوْنا السُّطورَ سطرًا فَسطرًا
وشَجبْنا الأنسابَ حصرًا وَعَدَّا
كلُّ ما كان أرْخَصَتْهُ اللَّيالي
واللَّيالي دُيونُها لنْ تُرَدَّا
كان عندي حُبٌّ فضاعَ وما عَا
دَ وما خُنْتُ للمحبينَ عَهْدا
أين ظِلٌّ أظَلَّني عندما جِئْـ
ـتُ أغاديه للهوى أتَصَدَّى
وأراني أهزوجةً في فم الشِّعـ
ـرِ وشعرًا يُروى ولحنًا يُؤَدَّى
وصبابات أمَّةٍ جعلتْ للعِشْـ
ـقِ بيتًا بها وللضَّمِ زنْدا
صَيَّروا شَوْقَنا دموعًا ولن نَغْـ
ـفِرَ ذنبًا بشَوْقِنا البِكْرِ أَوْدَى
قَدْ حَمَلْنا الأحزانَ وهي ثِقالٌ
واحْتَمَلْنا مع الزَّمانِ الأشدَّا
ذاكَ أنَّ الذي وراءَ خوافيـ
ـنا كبيرٌ فلنْ يموتَ ويَهْدَا
شُعْلَةٌ للحياةِ أوْقَدَها اللـ
ـهُ ونورُ الحياةِ للقلبِ أهْدى

مَـنْ تُـرى يستطيعُ أنْ يطفئ البسْـ
ـمَـةَ فـي ثـغـرِ طـفـلـةٍ وهــي تَـنْـدى
ويُمِـيـتُ الإحـسـاسَ فـي قـلـبِ أمٍّ
فَـرَشَـتْ أرضَـهُ حـنـانًـا وَوُدًّا
إنَّ رَكْـبًـا سُـقـنـاهُ لابـدَّ أنْ يمـ
ـشي وإنْ جـاوز الـضّـنـى مِـنْـهُ حَـدًّا
تـتـلاقـى الـوجـوهُ دونَ مـواعـيـ
ـدٍ كـمـا تَـغْـمُـرُ الـنَّـسـائِـمُ وَرْدا
وتـعـودُ الأيـامُ أكـثـرَ إشْـرَا
قًـا وأصـفـى مـاءً وأعـذبَ وِرْدا
مَـن تـرى كـالـشُّـعوبِ تغضي على الذُّلْـ
ـلِ وفـي صـمـتـهـا الـدُّنـى تَـتَـحَـدَّى
إنْ صَـحَـتْ تـوقِـفُ الـدقـائـقَ كـي تَـمْـ
ـحَـقَ مَـنْ دَنَّـس الـحِـمـى واسـتَـبَـدَّا
وتَـرُدُّ الـثَّـاراتِ مـهـمـا تـنـاسَـتْ
وتَـهُـزُّ الأحـداثَ جـذبًـا وَشَـدًّا
نـحـنُ مَـنْ أيْـقَـظَ الـحـقـولَ إذا نـا
مَـتْ وأهـدى لـهـا الـصَّـبـاح الـمُـنَـدَّى
وبـنـى المـجـدَ فـي صـمـودٍ وكـم خَـلْـ
ـلَـدَ فـي ذروة الـشَّـوامِـخِ مَـجْـدَا
ورعـى الـعـاشـقـيـنَ فـي هَـدْأَةِ الـلَّـيـ
ـلِ فـلـم يـعـرفـوا فـراقًـا وَصَـدًّا
فـاسـألـوا نجـدَ إنَّـهـا مـوطـنُ الـعِـشْـ
ـقِ وريـحُ الـعَـرارِ يَـغْـمُـرُ نَجْـدا

هـلْ تُـراهـا سَـلَـتْ وهــلْ جـبـلُ الـثُّـوْ

رِ بــادَ مـا عــادَ لـلـمـحـبـيـنَ مَـهْـدا

ســوفَ يُـنْـبـيـكُـمُ الــزَّمــانُ بــأنَّ الْـ

ـخـلـدَ مـا زالَ فـي الـمـرابـعِ خـلْـدا

ورحــيــقُ الـحــيــاة يــشـربــهُ الأنْــ

ـقَـى الــذي كـابـدَ الـحـيـاةَ وَجَــدًّا

****

ويبقى الشعر[1]

نَمَّ عن أحْزانِهِ الشَّفقُ
ورَوى أشعارَه الألَقُ
عابدٌ جاثٍ بمعبدِهِ
عاشقٌ مِن بعضِ مَن عشقُوا
خاضَ بحرَ الشِّعرِ لا وَجِلاً
وهو لا ينجو به الغَرِقُ
يا نَجِيَّ الدَّهرِ يا شفةً
بالهوى المشْبُوبِ تَحْترِق
صُبَّ لي يا مُدنِفي قَدَحًا
فَيَدِي للكأسِ تَستَبِق
وبِقُربي السَّامرونَ ومَن
شفَّهُم حبٌّ به نطقُوا
يتساقُونَ الصَّبابةَ في
لَيْلِهِمْ واللَّيلُ يغْتَبِق
ذاكَ يَشْتَفُّ الرُّؤى حُلُمًا
يَنْتَشي مِن سحرِهِ الوَرَق
ومُعنًّى باتَ في حُرقٍ
تكتوي من نارِها الحُرُق

(١) قرأها الشاعر في الأمسية الشعرية التي انعقدت بتوزر يوم ١٩٩٤/١٠/٨م بمناسبة ستينية الشابي.

كُــلُّــهُــمْ هــامــوا وتَــيَّــمَــهَــمْ
عــالِــمٌ بــالــشِّــعــرِ ينطلق
لــيس يُــحْــصِــي نَــجْــمَــهُ عــددٌ
لا ولا يــــدْري بــــه الأفُــــق
حــــدِّثِ الــنَّــخــلَ الــتــي دَأبَــــتْ
تحــضُــنُ الــصَّــحــرَا وتَــغْــتَــبِق
شــاخــصِــاتٍ وهــــي تــرقُــبُــهُــمْ
خــاضِــبــاتٍ زانَــــهــا الــشَّــفَــق
عــــابــــداتٍ وهــــي مــاثــلــةٌ
داعــــيــــاتٍ آدَهــــا الأرَق
أتُــــراهــــا فــــي تَــبَــتُّــلــهــا
عــرفَــتْ مِــن حــسِّــهِــمْ مِــزَق
يــا شَــــذَا الــواحــاتِ يــا سِــفْــرًا
فــي زمــــانٍ مــــا بــه مَــلَــق
طــالمــا نــغَّــمــتَ أحــرُفَــنــا
وســقــى أرواحَــــنــــا الــغَــدَق
حــيــنــمــا قــــالَ الــرَّبــيــعُ لــنــا
هــا هُــنــا الأزهــــارُ تُــنْــتَــشَــق
هــا هُــنــا الألحــــانُ رتِّــلَــهــا
مُــنْــشِــدٌ مــا إنْ بــه نَــزَق
كُــلَّــمــا ذاعــــتْ حــكــايــتُــهُ
ردَّدتْ أصــــداءَهــــا الــطُّــرُق
لــيس يَــــدْري الــشَّــوقَ غــيــرُ ذوي
الــشَّــوقِ إنْ فــي حــسِّــهِــمْ صَــدَقُــوا

إنَّ وِرْدَ الحُبِّ يعرفُهُ
عاشقٌ ما إنْ به رَمَق
بعضُهُ الألحاظُ ساهيةٌ
والقُدودُ اللُّدنُ تُمتشَق
حارَ «قيسُ» في متاهتِهِ
و«جميلٌ» نابَه الرَّهَق
نحن أتقَنَّا صناعتَهُ
ولنا في دَرْبِه السَّبَق
وهو إمّا غابَ لا مطرٌ
تُخْصِبُ المرعى ولا عَبَق
وإذا خاطَ الجفونَ فَمِنْ
سِحْرِهِ ما ضمَّتِ الحدَق
سوف يَبْقى الشِّعرُ ما بقي الْـ
ـحُبُّ في الأحشاءِ يَصْطَفِق
جذْوَةٌ لا تَنْطفي أبدًا
وجراحًا دُونَها العُنُق
نتحدَّاهُ فيهزِمُنا
ونُواريه فَيَنْبَثِق

****

شعراءٌ من ورق، وشعرٌ من غبار

يـــومٌ كــســابــقِــه يَمُــرُّ — فــي طَــيِّــهِ مَــدٌّ وجَـــزْرُ
تمشي خطاكَ ولستَ تدري — الـبـحـرُ حـين يمـوجُ بـحـرُ
وتـفـيـقُ مِـن سِـنَـةِ الـكرى — ووجـيـبُ قـلـبِـكَ لا يَـقَـرُّ
يمضي الـزَّمـانُ فـلا هـوًى — يـنْـدي ولا عَـيْـشٌ يَـسُـرُّ
حـظُّ الأديـبِ بـه كَـوَجْـ — ـهِ اللَّيلِ حيـنَ يغيبُ بَدْرُ
أتُـــراكَ تـعـرفُ مِـثْـلَـنـا الـ — ـكَلِمَ الأَسـيـرَ بمـا يَـجُـرُّ
لـيمـوتَ فـي صمتِ الكهو — فِ وليس مِثْلُ الكَهْفِ قَبْرُ
تَـعِـبَـتْ أغـانـيـنـا وأُسْـ — ـبِلَ دونَها في الصَّمتِ سِتْرُ
نَـتَـبَـرَضُ الحـرفَ الـرَّدى — والحــرفُ أحــلاهُ الأمــرُّ
ونـدوسُ شَـوْكَ الـشِّـعـرِ والـ — ـعـمـرُ الـقـصـيـرُ بـنـا يـفـرُّ
أشـقـى الـبـريَّـة شـاعـرٌ — يُضْـنـيـهِ فـي الأيـامِ شِـعْـرُ
إنْ قـلـتَ صَـخْـرٌ فـهـو في — شفةِ الرِّياحِ الـهُـوجِ صَخْرُ
أو قـلـتَ كـونٌ فـهـو كـونٌ — لا يَـحُـدُّ مَـداهُ قَـدْرُ
أو قـلـتَ مـنـتـجـعُ الـهـمـومِ — فـلـيس فـيـمـا قـلـتَ سِـرُّ
عَـجَـبـي لمـن جـعـلـوا من — الأشـعـارِ ضَـرْعًـا لا يَـدُرُّ

حاموا ولمْ يقعوا ومرّوا   بالقلاعِ ولم يمرُّوا
لم يدخلوا المحرابَ من   أمَمٍ ولا بالشِّعرِ بَرُّوا
والشِّعرُ نارٌ تحرقُ الزْ   ـزَمنَ المُعاندَ وهو جَمْرُ
لا الماءُ يُطْفِئُهُ ولا   نهرٌ يسوقُ خطاهُ نَهْرُ
ومَعاشِرُ الشُّعراءِ منـ   ـهُمُ في الفَضا صَقْرٌ ونِسْرُ
وبغاثُ طيرٍ لا يقو   مُ إذا نَهَضْتَ ولا يفرُّ
يتناوشونَ إذا حكَى   عَن شِعْرِهِمْ زيدٌ وعمرو
ويُصَنِّفونَ نفوسهم   قسٌ يُحَدِّثُ عنهُ حِبْر
يترسَّمونَ خُطى الحدا   ثةِ وهيَ في الأوراقِ حِبْر
ما ذكرياتُ الملحِ ما الْـ   أهدابُ أجنحةٌ تَمُرُّ
ما الوجهُ نقطةُ مركزِ الـ   ـكَونِ الذي لا يَسْتَقِرُّ
إنْ كان هذا شِعْرُهُمْ   فإليكَ يا رَبِّ المفرُّ
عُدْ بي إلى الحبِّ الذي   ما ضمَّهُ في اللّيلِ صَدْرُ
مُذْ غابَ ما غَنَّتْ طيـ   ـورٌ أو تفتَّح بَعْدُ زَهْرُ
قرٌّ عواطِفُنا وكُلْـ   ـلُ الكونِ بَعْدَ الحُبِّ قِرُّ
الحقدُ يزرعُ حقلَهُ   وقطافُهُ عِنَبٌ وتَمْرُ
وجُنَاتُهُ ألفُ وألْـ   ـفُ همُّهم طيٌّ ونَشْرُ
لا الدَّهرُ أسْعَفَهُمْ بما   شاؤوا ولا الحَسَدُ المُضِرُّ
أحكي لكُمْ عنهُمْ وعَنْ   فئةٍ لهم خُبْثٌ ومَكْرُ
عبدوا الغريبَ وللغريـ   ـبِ بأرضِنا سجدوا وخَرُّوا

يَـلْـوَوْنَ أَلْـسِـنَـةً لـهـا	فـي لـيِّـهـا بَـطْـنٌ وظَـهْـرُ
تُـغْـويـهِـمُ لـغـةٌ بـهـا	سُـحِـروا ولـلألـفـاظِ سِـحْـرُ
مَـسَـحـوا بـريـقَ الـذّاتِ في	أرواحِـهِـمْ والـذلُّ قَـهْـرُ
ونَـسَـوْا بـلادًا مـاؤُهـا	عِـلَـلٌ ولـلأفـيـاءِ عِـطْـرُ
أعـطَـتْـهُـمُ أزكـى الـعَـطـا	يـا يـومَ لا أحَـدٌ يَـبَـرُّ
وكَـسَـتْـهُـمُ حُـلَـلَ الـكـرا	مـةِ وهـي لـلأحـرارِ فَـخْـرُ
يـا مـوطـنًـا غَـدِيَـتْ بـه الـ	أيـامُ والـعـيـشُ الـمُـسِـرُّ
حَـجَـرًا أقـبِّـلُـهُ وحـيـ	ـنَ أطـوفُ بـالأركـانِ حِجْـر
أفـديـكَ يـا قَـدَري بـرو	حِـي والـهـوى قَـدَرٌ وأمْـرُ

****

الغريبان[1]

لكُمَا وإنْ طالَتْ لياليها
لَكُما وإنْ جَفَّتْ سَواقيها
لكُمَا وإنْ رَعَدَتْ رواعِدُها
ورسا بقلبِ الرِّيحِ شاديها
أُمْلِي وأكتُبُ ما أنوءُ بِهِ
فَلَرِبَّما سَحَّتْ غواديها
صقرانِ قد حَطَّا على شجرٍ
إنَّ الصُّقورَ تَرودُ مُدْمِيها
اِسْأَلْ نخيلَ الضّفتَيْنِ وقَدْ
شَمَخَتْ بما حَمَلَتْ أعاليها
كم شَاهَدَتْ يومًا مواكبَهُمْ
تردى وتَسْقُطُ في تردِّيها
تمشي إلى النِّسيانِ زاحفةً
فَيُفَتِّتُ النِّسيانُ مَنْ فيها
ذهبوا ولكن الذين بقوا
من أسهروا بالشِّعر ناديها

(١) إلى الشاعرين الكبيرين محمد مهدي الجواهري وعبدالوهاب البياتي في غربتيهما.

لا استراحتْ ركابكَ لا عُدْتَ يومًا لدارتك الجاثمةْ
قلتَ لي إنّها طاردت نومها
فرآها الذي حارَ فيها فظنَّ حبيبتهُ نائمةْ
مثخنٌ بالجراحِ الحمام وكلُّ أصائله غائمةْ
وبرغم الذي يتلقاه ما زال عرنينهُ شامخًا
وأناشيدُهُ هائمةْ
غُرباءُ يُوصَدُ دونَنا البابُ
ويفرُّ أصحابٌ وأحبابُ
أتُرى لأنَّ الشِّعرَ صاحبُنا
أمْ أنَّ صَرْفَ الدَّهرِ غلَّابُ؟
نطوي على الأحشاءِ حُرقتَنا
ونَبِرُّ مَن حضروا ومَن غابوا
ونسوقُ للغاباتِ مَوْسِمَها
وإذا الجنَى تينٌ وأعناب
فإذا الجزاءُ جزاءُ من نكثوا الْـ
ـميثاقَ واجْترمُوا وما تابوا
دَعْها على مهلٍ فقد تَعِبَتْ
وأَقَضَّها سجنٌ وإرهاب
يَترصَّدُ العادي فريستَها
وتنوشُها في الليل أنياب
والسَّادِرونَ كما عَرَفْتَ فما
فُتِحَتْ لهم في النَّوم أهداب

إنَّ من ذاقَ طعم الحرائقِ يصبحُ بالنارِ أعرفْ
ومَنْ حَمَلَ الحرفَ جَمْرا
سيبقى على وتر الجَمْر يعزفْ
أيّما غربةٌ أو ذراعٌ تمدُّ لتفتحَ بابَ الخروجْ
سوف تبقى بروجًا تَخِرُّ لديها البروجْ

بحروفِنا قَدْ سَجَّلَ الزَّمنُ
أحداثَهُ ومَشَتْ بنا المِحَنُ
نتعقَّبُ الأيَامَ نَسْكُنُها
شِعرًا وتمخرُ بحرَنا السُّفن
كم شفَّ نجمٌ في قراراتِنا
وامتدَّ في أعماقِنا الشَّجن
وأَمَضَّنا الحبُّ الكبيرُ ومِن
نعماهُ في أفيائِنا وطن
سُبُلُ الحياةِ بنا تَفَرَّعُ لا
سِرٌّ نُواريه ولا عَلَن
كمْ يكتمُ الملتاحُ صَبْوَتَهُ
ويُصيبُهُ الإرهاقُ والوَهَن
لكنه يبقى كما سَطَعَتْ
شمسُ الضُّحى للنُّورِ تختَزِن
لِتَشعَّ في الأفاقِ أجمعِها
في كلِّ أرجاءٍ لها سَكَن

١٩٩٥/٤/٢٦

****

نفحات نبوية

أتيتُكَ حبًّا والشُّجونُ ضروبُ
وقد كدتُ من شوقي إليكَ أذوبُ
سَنًا بارقٌ من نور أحمدَ لائحٌ
به ضاءَ شرقٌ واسْتنارَ جنوب
تَوَزَّعَنِي شوقي له بين جيئةٍ
وبينَ رجوعٍ يقتفيه ذهوب
تناهبَنِي حُبَّانِ فيه وليتني
قضيتُ حقوقًا والزمانُ خصيب
فَحبٌّ بَراني للحبيب وأهلِهِ
وحبٌّ لوجهِ الله وهْوَ عجيب
تقاسَمتِ الأيامُ قلبي فبعضُهُ
أسيرٌ وبعضٌ في الحنايا غريب
تحدَّرَ دمعي من حنوٍّ وغبطةٍ
وكيف يُكَفُّ الدمعُ وهْوَ صبيب
جرَى ذكرُ من أهوى فأسلمتُ مهجتي
وأيقنتُ أني راجعٌ ومُنيب
ولي في روابي (طيبةٍ) مَن يُجيرُني
ويجلو كروبًا ما إليها كروب
طبيبٌ دَوَا قلبي وغوثِي وعدَّتِي
وما دونَهُ في النَّائباتِ طبيب

مَـلاذي رجـائـي شـافـعـي يـومَ وحشَتِي
إلـى الـلـهِ مـا وافَـى الـحـبـيـبَ حبيب
أنـيسـي ضَـمـيـنـي يـوم أُحْـشَـرُ هـالـعًا
ولـلـنـاس مـن هـولِ الـحـسـاب شُـحوب
أتـيـتُ وجِـسِّـي قـد تـدلَّـهَ بِـاسْـمـهِ
وجِـبْـتُ سُـهـوبًـا مـا إلـيـهـا سـهوب
لألـقـى حـبـيـبَ الـلـه لـهـفًـا مـشـفـقًـا
ولـلـقـلـب مـن خَـلْـفِ الـضـلـوع وَجِـيـب
شَـذَا لا تمـلُّ الـرُّوحُ مـنـه إذا هـفـتْ
وذكـرٌ عـلـى مَـرِّ الـزمـانِ رطـيـب
وآفـاقُ وحـيٍ لا تُـحَـدُّ ومـنـزلٍ
بـه الـمـرجُ خـصـبٌ والـمـقـامُ رحـيـب
حـمـلـتُ هـمـومـي وهْـيَ جِـدُّ ثـقـيـلةٌ
وألـقـيـتُ رَحْـلـي والـفـؤادُ سـلـيـب
ولَـمـلَـمْـتُ عـنـد الـقـبـر بـعـضـي وجـثـتُـهُ
ومـا لـيَ مـن هـذا وذاكَ هـروب
وأغـفـيـتُ أسْـتَـجـدي الـقَـبُـولَ ولـيـس لي
سـوى ذاك مـا أرجـوه وهـو قـريـب
أمـامَ الـذي لا بـابُـهُ الـدَّهـرَ مـغـلـقٌ
وطـالـبُ جـدوى مـن لَـديـهِ يـخـيـب
أيَـا سـيـدي يـا مَـن نـهـجـتَ إلـى الـورَى
طـريـقًـا بـه لـلـخَـيِّـريـنَ دروب
سـرائـرُ مـاضـمَّـتْ سـوى الـطـهـرِ والـتُّـقَـى
وقـولٌ كـمـا صـاغَ الـمـقـالَ لـبـيـب

وهَــدْيٌ سمَا نحو السماءِ فأشرقتْ

وشمسٌ بــدَتْ لا يعتريها غروب

طويتَ زمانًا في الجهالةِ غارقًا

وجئتَ بشيءٍ ما إليه ضريب

شواهدُ أعطتْ للحياةِ مذاقَها

وآيــاتُ حقٍّ بالفلاح تهيب

ايَا سيدًا صاغ النفوسَ جواهرًا

وحنَّتْ لمغناهُ الرَّحيبِ قلوب

زكتْ به أخلاقٌ وطابتْ معاشرٌ

وصَــدَّقَ بالوحي المبينِ مُريب

وضاءت قرى بصرى البعيدةُ واستوى

على نهجهِ عُجْمٌ بها وعَريب

وآمَــنَ من روعِ الملمَّات خائفٌ

وأطفئ في حرِّ الأتونِ لهيب

أيَا هاديًا أمَّ الهُداةَ وقاضيًا

له الفصلُ كلُّ الفصلِ وهو يجيب

أتيتُكَ أسْتجدي الودَادَ وأنت لي

إلى الله إن عزَّ السؤالُ نقيب

ومن يبتغي عند الإله وسيلةً

فأنتَ لها إنْ رامَ ذاكَ مُجيب

فكُنْ لي وأهلي عند ربِّيَ شافعًا

إذا بُحَّ بالقولِ الفصيحِ خطيب

****

مِنَ الينبــوع[1]

ظَـمِـئَـتْ بَـعْـدكَ الـشِّـفـاهُ الحِــرارُ

وبـكَـى لـيـلَـكَ الـطـويـلَ الـنَّـهـارُ

عـابـدًا كـنـتَ فـي مـحـاريـبِ هـذا الشْـ

ـشِـعـرِ تُـتْـلَـى بـبـابِـكَ الأذكـــار

ولُــهــاثًــا مُـنـغـمًـا كَـلـهـاثِ الـطـيـ

ـــرِ هـــزَّتْ شـجـونَـهـا الأوكـــار

فـــإذا مـــا صَـــمَـــتَّ كـنـتَ مـهـيـبًـا

وإذا مـا نَـطـقْـتَ غـنَّـى الـكـنَّـار

أبـــدًا فـي الـوجـوهِ دعـوَى ابـتـسـامَـا

تٍ وفـــي الـعـمـقِ روضـــةٌ مِـعْـطَـار

أتــرى مَـن ســواكَ يـعـزفُ حـزنَ اللـيـ

ـــلِ والـلـيـلُ غــربـــةٌ وسِـــفَــار

ومَــن الـعـاشـقُ المـدلَّـهِ بـالـشـعْـ

ـرِ اذا طـال فـي الـدّجَـى الانـتِـظَـار

رَهَـــبَ الـكـلُّ لا الـمُـعـنَّـى ولا نَجْـ

ـدُ فـأيـنَ الـشَّـذا وأيــن الـعَـرارُ

فـي جـراحـي وفـي جـراحـكَ تَـرتَـا

حُ المـراثِـي وتـــورقُ الأشـعـار

---

(1) قيلت في رثاء الشاعر أحمد المختار الوزير.

شَفٌّ قلبٌ حَملتَهُ عن هوى المُدْ
نفِ ألقى بقلبهِ الإغْضَار
واحةٌ تَبْسطُ الظِّلالَ بصحرا
ءَ وغَضٌّ عليه غَنَّى الهَزَار
موجعُ اللحنِ تَعتَريهِ شَكاةٌ
جُرحها في فم الزَّمان جُبَار
مُدَّ لي أحرفَ الضِّياءِ يُغَنِّي الـ
ـحبُّ فيها وتعزِفُ الأوتار
وأَعِدْ نغمةً مُدلَّهةً بالصْـ
ـصِدْقِ تهمي لها الدُّموعُ الغِزار
وحروفًا مُذَهَّباتٍ كما يلْـ
ـمَعُ في مِعْصَم الغَواني السِّوار
نَبِّنِيْ عنكَ والحديثُ طويلٌ
والليالي المُنعَّماتُ قِصَار
كيف أصبحتَ في الجنانِ طليقًا
في يديكَ النجومُ والأقمار
ألَقٌ مِن سَنَا الإلهِ ونورٌ
ومكانٌ يطيبُ فيه القَرار
يا مُجِيبَ الرَّدى إلى دارِ أَخْلا
دٍ تَساقَى كؤوسَها الأبرارُ
عرفَ الموتُ كيف يختارُ والمو
تُ كبيرُ النّقادِ يا مُخْتَار
بَعْدَكَ الشِّعرُ صارَ دعوةَ إفْلا
سٍ وجمعًا به تدارُ العُقَار

وتـــبـــدَّتْ ألـــوانُـــهُ مـثـلـمـا يَـعْـ
ـــرِضُ فــي الـسُّـوق ثَـوْبَـهُ الـقَـمّـار
مِـن طـويـلٍ ومــن قـصـيـرٍ ومــن أحْـ
ـمـرَ قـــانٍ لـبـاسُـهُ الأطْـمَـار
وتـولّـى الإبـــداع يـشـجُـبُـهُ الـصَّـمْـ
ـتُ ويَـلْـوي جـنـاحَـه الـتَّـيَّـار
سـامَـهُ الـخـسْـفَ كـلُّ غـمْـرٍ فـمـا يَـدْ
ري أثَـلْـجٌ شـرابُـهُ أم نـار
وهْــوَ فـي غـيـمـةِ الخَـريـفِ سُـؤالٌ
عـجـزَتْ عـن جـوابـهِ الأمـطـار
جـرحُـهُ فـي الـقـلـوبِ مـثْـلَ الأخـاديـ
ـدِ ومـن جـرحِـه الـضـحـايَـا كِـثَـار
صـاحـبٌ يـمـنـحُ الـمـسـرَارتِ والحُـزْ
نَ وتـشـقـى بِـهـمِّـهِ الأعْـمَـار
قَـدْ رضـيـنـا بمـا يَـجـودُ عـلـيـنـا
فـلَـهُ حُـكْـمُـه بمـا يَـخـتـار
حَـسْـبُـنَـا الـشِّـعـرُ فـهْـوَ قـوتُ الـمُـحِـبْـيـ
ـنَ ومـن بَـعْـدهِ تجـفُّ الجِـرَار

****

حديث عن الحاضرة الغائبة

لها أن تُجرِّعني الشعر يأكل عمري

وأحملُهُ صخرةً فوق صدري

ولي أن أموتَ على أرضها

كلما عانقتْ لهبًا

أو جَنَتْ غَضَبا

أو دَعَتْ عرَبا

فتولّوا ولم يستجيبوا لها

فاستجارتْ بزيدٍ وعمروٍ

لها وعَليِّ

ولكنني بالحديدِ تشدُّ يديًا

وبالنار ألجَمُ كل صباحٍ وكلَّ عشيَّهْ

وماذا عسى أن يقولَ لك الأبكَمُ

سوى أن يمدَّ يدًا أو يهزُّ يدَا

ومن دونِ هذا وذلك ما يكْتُمْ

جَـنِّـبـوهـا مـوائـدَ الـغُـربـاءِ

وأسـألُـوهـا بـأن تجـيـبَ نـدائِـي

فَـهْـيَ بـنـتُ المـلاحـم السُّـودِ مـا زا

لَـتْ وبـنـتُ الـوقـائـعِ الحَـمْـراءِ

كَـــمْ بـهـا قــد تَــربَّـصُــوا فَــتـولَّــتْ
و هْـــيَ أنــقَـــى مــن صــفـحــةٍ بـيضـاء

وهـــي أبـقَـى فـي الـقـلـب مـن كـلِّ بـاغٍ
رَغْـــــمَ كـــلِّ الحُــسَّـــادِ والأعْـــــدَاء

دَيْـنَــهــا أن نَـــردَّ مــا وهــبــتْ بــالْــ
أمـــسِ والـــدَّيـــنُ مُـــؤْذِنٌ بــالــقَـضَــاء

الـــدمـــاءَ الـــدمـــاءَ إنْ كـــان لابـــدْ
دَ إذا مــا دَعَـــتْ لِــعُــرسِ الــدِّمَــاء

فـــهْـــيَ أمِّـــي وأمـــكُـــم ومـــن الـــوا
جِـــبِ فـــي الـــدِّيـــنِ طـــاعـــةُ الآبـــاء

وطنٌ أمْ بقايا حديثٍ يوزعُهُ المخبرون صباحَ مساءْ
وتظلُّ الجرائدُ تنبشُ كلَّ
جميلٍ به وتعكَرُ فيه الصَّفاءْ
ليس إلا هُمو بَدَّلوا وجْهَهُ
ثم نادوا به في مزادِهمُ للشراءْ
وجاء البعيدُ البعيدُ على صهواتِ الحديدْ
ليذبحَهُ ويجزَّ الوريدْ
وما ماتَ إلا لكي يستعيدَ الحياةَ
ويُبْعثَ في كونِنَا من جديدْ

أبَــــــدِيٌّ وســــــوفَ يــبـقَـى كـمــا كــا
نَ جـــلاءً لـــلأعْـــيـــنِ الـــعَـــمـــيـــاءِ

عَــــرَبِــــيٌّ وكــيــف لا وهـــوَ مـــا زا
لَ يُــغــالـــي بـــالـــعـــزَّةِ الـــعَـــرْبَـــاء

نـحـنُ لـمّـا نـزلْ بـه رغـمَ مـا يـنـفـثُـهُ

الـمُـخْـبِـطُـونَ فـي الأنْـحَـاء

نـحـتـسـي المـوتَ فـي الـصـبـاحِ إذا جا

ءَ ونـحـيـا مـن بـعـدهِ فـي المـسـاء

سـوفَ نـبـقـى رغـمَ الـتّـمـزُّقِ نمشي

وأخـيـرًا لابـدَّ مِـن صَـنْـعـاء

فـإذا مـا رمَـى الـحـجـارةَ أطـفَـا

لُ لـنـا فـي صَـرامـةٍ وإبَـاء

نـزلـتْ مـحـنـةُ الـزمـان إلـى الأسْـ

ـفَـلِ وانْجَـابَ مـوكـبُ الـظَّـلْـمَـاء

تناوبني حينَ حَدَّثْتُها صخبُ الريح

وهي تفتتُ صخرَ المحيطاتِ تبني من الحزنِ دارا

ومن حجر الخوفِ دارا

تزأرُ تَعْوي تئنُّ

فناديتُ يا سعدُ هَا وافدُ الضيفِ جاء فأوقدْ

وقد كان سَعْدُ عليمٌ بأخبارِها

وأدْرَى الجميعُ بأسرارها

ثمارُ المواسم ما زال يقطفُه ثمرةً ثمره

ونخلُ الصحارى تسلَّقُه شجرةً شجره

«أوقدْ فإن الليلَ ليلُ قَرْ»

والبيتَ لا ماءٌ به أو تَمرْ

والقبرُ ما عادَ إليه صَبْر»

يـبـتـدي ثـمَّ يـنـتـهـي وسـيـأتـي

بـعـدَهُ آخـرُ بـدونِ انْـتِـهـاءِ

شِـمـتـهُ فـي صـبـاحِ بـغـدادَ والـقُـدْ

سِ وفـي الـشـامِ مـوطـنِ الآبـاءِ

وبـصـنـعـاءَ وهْـيَ دارةُ مـجـدٍ

وبـأفـيـاءِ تـونـسَ الخَـضْـراء

كلّما ارتـدَّ فـي الجـداولِ شـوقُ الْـ

ـمـاءِ أيـقـنـتُ بـعـدَهُ شِـفـائـي

وتـنـسـمـتُ فـجـرَهُ والمـواعِـيْـ

ـدَ ومـا ضـمَّ صـدرُهُ مـن وفَـاء

وتـيـقَـنْـتُ أنَّـهُ كـلـمـا طا

لَ زمـانٌ وامْـتـدَّ صَـرْفُ الـقـضـاء

سـوف يـأتـي مِـنْ بـعـد ذاكَ زمـانٌ

عـربـيٌّ يـسـمـو إلـى الـعـلـيـاء

١٩٩٠/١٢/٢٠

****

أغنية من خلف جدار الصمت

لستُ الذي ينساكِ إنْ مرَّ عامْ
أو جدَّ في ليلِ المحبينَ عامْ

هانتْ - أيَا مَن أنتِ - أعمارُنَا
والعمرُ يومٌ ثمَّ مسكُ الختام

نمشي ولا نمشي ومن أينَ للسْـ
ـسَائرِ أن يبلُغَ أقصَى المرام

سألتُهَا عن صُحْبَةٍ بدَّدُوا
عمرَ الأغاني وأراقوا المدام

وعن هوًى ماتَ ونهرٍ تَرَكْـ
ـناهُ يسقي العابرينَ الْكلام

وخضرةٍ حانيةٍ لم تزلْ
تُغري وتُغرينا بِنَيْلِ الأوام

لا نارُنا أطفأَهَا شوقُنا
فينا ولا انْجَابتْ جيوشُ الظلام

حَتَّامَ نسقي الحرفَ أيامُنا
والحرفُ يسقينا كؤوسَ السَّقام

عودي لنا كالزهر في طلعةِ الـ
ـفجرِ وكالفرحةِ في الابتسام

وكـالـنَّـدى فـي آخـرِ الـلَّـيـلِ أعْـ
ـشب منـهُ الحـقـل حتّـى الجـمـام[1]

مـورِدنـا لـم يـزلْ واحـدًا
وحـبُّـنـا يـرويـه عـنّـا الحـمـام

نَمـا بـنـا الـبـعـدُ وطـالـت بـنـا الْـ
أيـامُ والأيـامُ غـيـمٌ جـهـام

وأنـتِ كـالـفِـكـرةِ فـي خـاطـري
صـوتٌ بـعـيـدٌ ومُـنًـى لا تُـرام

مـن بَـعـدِ مـا جـفَّـت مـيـاهُ الـيَـنَـا
بـيـعِ وضـاعَ الـصـوتُ وسْـطَ الـزحـام

شِـدِّي لجـامَ الـدهـرِ إنـي مـع الـرْ
رَكـضِ لمحـتـاجٌ لـشـدِّ الـلِّـجـام

سـألـتُ عنـك الـشـعـرَ فـي المحـفـلِ الْـ
ـمـزدانِ والحـرفِ شـديـدِ الـضّـرام

ونـخـوة المـنـشـد فـي سـاحـةٍ
أيـقـظَ فـيـهـا الـشـعـراء الـنِّـيـام

فـلـم يُـجـبْـنـي غـيـرُ رجـعِ الـصَّـدَى
ولـم أرَ غـيـرَ بـقـايـا الخـيـام

لـقـد تـنـاءَى الـنَّـاسُ عـن بـعـضـهـمْ
ألـهـاهُـمُ الحـقـدُ ومُـرُّ الخِـصـام

كـلٌّ يـرى فـي وجـهِـهِ (الـلاتَ) و(الْـ
ـعُـزى) و(نـرسـيـسَ) وبـدرَ الـتَّـمـام

وهُـمْ فـلا هـذا ولا ذاك كـالْـ
ـوهـمِ تَـبَـدَّى فـي عـقـولِ الأنـام

(١) هكذا ورد في الأصل.

يمضونَ كالا شيءَ ما الذي
يبقَى فأنتِ يا نشيدَ اليمام
لأنَّكِ الخلدُ إذا ما ونَى الـ
ـخُلدُ وملحُ الدَّهرِ بعدَ القَتام
ونخلةُ الوادي وسفرُ التُّوا
ريخِ ومثوى الخالدينَ العِظام
وحُجَّتي إن بَهتَ المنطقُ الْـ
ـمحتارُ في حلقي وضاع الزِّمام
نامتْ ولكن فوقَ جمرِ اللَّظى
غاب ولكن في عقول الطَّغام
فَانتظروا عودتَها في غدٍ
وهْي تورى في العاشقِ المستهام
كطائرِ الفينيقِ، يُبْعَثُ مِن
رمادهِ من بعد حرقِ العظام

صحيفة الصباح

٢٠ أوت (أغسطس) ١٩٩٦

****

في موكب الحسين

أراهُ على مدَى ومَدى ... يُحَمِّلُ كاهلي الأبَدَا

أراني من عشيرتهِ ... شقيًّا قطُّ ما سَعِدا

أصبُّ الحزنَ في كاسي ... أذوِّبُهُ إذا جَمُدا

أنادي يا حسينُ أيَا ... أوارٌ قطُّ ما خمدا

أجِرني من زمانٍ ضَيْـ ... ـيَعَ الأموالَ والبلدَا

أجرني فالعراقُ غدَا ... كبحرٍ ينفثُ الزَّبدا

وأنتَ بكربلاءٍ لا ... تجيبُ نداءَ من صَمدا

ذكرتُكَ حيث راح الثَّا ... رُ في ساحاتِها وغدا

ولم تسمَعْهُ سامعةٌ ... ولم يرجعْ إليهِ صدَى

لهاثٌ لم يزلْ يشوي ... وتحرقُ نارُه الكَبِدا

إذا خاطبتُ ذاكرتي ... تفارقُ روحيَ الجسدا

أعودُ إليكَ والبلوى ... تمدُّ يدًا وتخفي يدَا

أعودُ إليكَ في زمنٍ ... عصيبٍ جمرُهُ اتَّقدا

لأسألَ عن بلادِ الشمـ ... ـسِ عن حرفٍ بها عُبِدا

وعن بغدادَ ساحرتي ... لها التاريخُ قد سجدا

وعــن تـلـك الـقِـبـاب ومـا   حــوتْــهُ ومــن بـهـا رقـدا

فَــكَــمْ غَــازٍ أنــاخَ بـهـا   وكـم جـيشٍ بـهـا احْـتَـشـدا

وكــم ظُـلـمٍ أحـاقَ بـهـا   وكــم غِــرٍّ بِـهـا لـبـدا

وعــادت مـثـلـمـا كـانـت   تـداري الـصَّـبـرَ والجَـلَـدا

أنـا مـن كـنـت فـيـك ولـم   يُـغَـيِّـرْنـي الـذي وجـدا

ولــم اخـضـعْ لِـنـازلـةٍ   ولــم أطـمـعْ بمَـنْ وعـدا

حـمـلـتُـك والـوفَـا جـرحُ   إلــى الاعـمـاقِ قـد نـفـذا

ولـم أرضَ الـبـديـلَ ولـم   أُسَـاومْ فـيـك مـن جـحـدا

فـأنـت الحـبُّ أنـت الـشِّـعـرُ   أنـت الـمـجـدُ إنْ فُـقِـدا

فَـدُومِـي يـا مـنـارَ الـلـيـ   ـلِ مـا حـادَ هـنـاكَ حـدَا

تونس في ١٩٩٨/٢/١٠

****

الحسين شهيدًا

يـــا ســيِّــدَ الـــشُّـــهـــدَاءِ جئْــ
ــتُــكَ بــعــدَمــا تَــعــبــتْ رِكــابــي
أمـــشـــي إلـــيـــكَ وفـــي يـــدي
قــيــدي وفــي وجــهــي اغْــتِــرابــي
وأرى عـــذابَـــكَ فـــي لـــيـــا
لِـــي الـحـــزنِ يُـنْـسِـيـنـي عـذابـي
أنـــا فـــي رحـــابِـــكَ يـــا حـسـيـ
ـــنُ وأيـــن مـــن عــيــنــيْ رحــابــي
وأراك فـــي قـــلـــبـــي وأقـــ
ـــرَأُ مـــا جـــرى لـــك فـــي كـتـابـي
فــيــمــيــدُ بـــي حـــرفـــي وأعْـــ
ـــجـزُ بـعـدُ عــن ردِّ الجـــواب
نَـــسْـــلَ الـــبـــتـــولِ مَـــلَـــكْـــتُـــمُ
قـــلـــبـــيْ وطـــاب بـــكـــم شـــرابـــي
وسَـــبَـــيْـــتُـــمُ روحـــي ودو
نَ الـــرّوحِ مـــا ضـــمَّــت ثــيـابــي
وشَـــدَا بـــذِكْـــركـــمُ لِـــسَـــا
نِـــي فـــي ابـتـعـادي واقـتـرابـي
لَـــهَـــفـــي عـــلـــيـــكَ مُـــجـــدَّدًا
لـــهـفِـي عـلـى زيْـــنِ الـشَّـبـاب

الطَّاهِرُ الميمونُ مَنْ
سَاقَ الجميعَ إلى الصَّواب
هِبةُ الزَّمانِ إلى الزما
نِ وتُحْفةُ العَجَبِ العُجَاب
مَنْ أستريحُ له إذا
ما لجَّ دهري في اكتئابي
يا مشهدًا ضمَّ الشجا
عَةَ والمحامدَ في إهابِ
عدْ بي فقد أشفقتُ من نفـ
ـسي ولم أعرفْ مآبي
أدعو الحسينَ وقد فَرَرْ
تُ من الرِّحابِ إلى الرِّحاب
أدعو الحسينَ ودونَهُ
ما شئتَ من شُمِّ الهضاب
أدعو الحسينَ وما علمْـ
ـتُ بأنهُ سبب اضْطِرابي
أدعو الحسينَ وقد عَطِشْـ
ـتُ ولم أجدْ حلوَ الشَّراب
أدعو الحسين إذا هَجعْـ
ـتُ وفي ذَهابي أو إيابي
أدعو الحسينَ ولا عجٌ
في القلب يحرقُ في الشهاب
يَمَّمْتُ هاتِيكَ القبابِ
وكم حَننتُ إلى القِباب

تَـغْـشَـى الـعـيـونُ عـلـى المـدى
وتـغـوصُ فـي الـذَّهـبِ المـذاب
تـدعـو الـسَّـحـابَ وقـد أنَـا
فَـتْ فـي الـشـموخ عـلـى السَّـحـاب
ودخـلْـتُ والـعـتـبـاتُ رو
ضٌ لـيـس يـدخـل فـي الحـسـاب
وبـدَتْ لـعـيـنـي كـربـلا
وتَـرًا عـلـى شـفـتـي رَبَـاب
ودخـلـتُ والأشـجـانُ مَـوْ
جٌ قـد تـلاطـمَ فـي اضْـطِـراب
ووقـفـتُ ألْـتَـحِـفُ الـسَّـوا
دَ وقـد عـجـزتُ عـلـى الخِـطـاب
يـا لائِـمـي بـالـلـهِ دعْـ
ـكَ ومـا بـلاك مـنِ الـعـتـاب
أنـا مـا أردتُ ومـا أَرَدْ
تُ سِـوى انـتِـمـائـى وانـتـسـابـي
ومَـحَـبَّـتـي وهـيَ الـتـي
أصـفـيـتُـهـا لأبـي تُـرَاب
وبَـنـيـهِ مَـن عـاشـوا بـخـا
طـرتـي ونـلـتُ بِـهـم رِغَـابـي
فـعَـلـيـهِـمُ مـنـي سَـلا
مِـي فـي الحـضـورِ أوِ الْـغِـيـاب
١٩٩٧/٦/١١

****

على قبر القاضي عياض

قـد زرتُ قـبـرَكَ يـا عَـيا — ضُ وأنـتَ خـيرُ الأولـيـاءِ
وقـــرأتُ فـي قلـبي «المـدَا — رِكَ» واشْتَفيتُ من الشِّفاء
وذكـرتُ عـهـدًا كنتَ فيهِ — ككوكـبٍ وسْـطَ السَّـمـاء
ما بينَ (سَبْتَةَ) و(الجزيرةِ) — حَـلَّ ركـبُ الأتْـقِـيـاء
يَـتَـصـفَّـحـونَ كـتـابَ هـ — ـذا الـكونِ من أَلـفٍ لِيَاء
عياضُ يـا هـادي الـهُدَا — ةِ ويـا مـنـارَ الأتْـقِـيـاء
بمـحـمـدٍ نـلـتَ الـوسِيـ — ـلَةَ وارتـفَـعْـتَ إلـى الـعَـلاء
هـا قـد أتـاكَ المـستَـهـا — مُ يَـلُـمُّ أذيـالَ الـرَّجـاء
يتـلـمَّـسُ الـبـركـاتِ في — مـثـواكَ يـجـأرُ بـالـدّعـاء
مـتـقـربًـا لـلـه بـالْـ — أخيـارِ أصـحـابَ الـولاء
أصْـفَـيـتُـهـم حُـبِّـي وعِـشْـ — ـتُ الـدهـرَ أمنَحُهمْ ولائي

مراكش ١٩٩٧/٦/٢٢

****

يا طبيبي

يا طبيبي قد مَلَّنِي الإنتظارُ وشكا الليلُ وحُدتي والنَّهارُ
أنا في سَكرتي أصارعُ آلا مِي فلا صاحبٌ ولا ديَّار
أنا ذوَّبتُ مهجتي في كؤوس الشْـ شِعْرِ والشِّعرُ في الحياةِ منار
للذي ضيَّعَ الطريقَ ولم تَعْـ ـرِفْهُ في زحمةِ الطريقِ الدِّيار
يا طَبيبي اطمأنَّ قلبي إلى طِيـ ـبِ حديثٍ كأنَّه النَّوَار
ضَمَّدَ الجرحَ وهو في الصدر يشتدْ دُ وجرْحي من القديم جُبَار
يا طبيبي شُلَّتْ خُطاي وما عا دَ ليَ اليومَ في الحياة اضْطِبار
يتحدَّانيَ الفراغُ فَتَنْهَلْـ ـلُ شكاتي فَيحتويها الجِدار
وأنَا مَن طوى البلادَ من الشَّرْ قِ إلى الغربِ واجْتَواه السِّفَار
يا طبيبي خُذْني إليك وحَدِّثْ نبضَ قلبي فَعِنْدَهُ الأخبار
فَسَيُنْبِيكَ أنَّه عاشقٌ مِن قَبْـ ـلِ أنْ تعرفَ المياهَ البحار
ومحبٌّ يهيمُ بالحبِّ أنْ غَرْ رَدَ طيرٌ أو فَتَّحَتْ أزهار
يا طبيبي كُنِ الرفيقَ بقلبي عندما لم يكُنْ لديَّ الخَيَار

المستشفى العسكري

١٩٩٥/٣/٢١

****

قلبـــي

كُـــنْ كمـا شـئـتَ طـالمـا أنـــتَ قـلبي
بـعـدَمـا بَـــانَ أنَّ ذَنْـبـكَ ذَنْـبِـي
أنـــا أســرفْــتُ حــينَ حـمَّـلْـتُـكَ الـعب
ءَ وحــيــدًا وتُـــهْـــتُ فــي كـــلِّ دربــي
وأتـــيــتُ الـــهــوَى فَـصُـغْـتُـكَ مـنـه
فَـبَـرانِـي الـهَـوى ونـاديـتُ حَسْبي
يــا شَـبـيـهَ الجـبـالِ عـفـوكَ إنِّــي
قـد تَجَـنَّـيـتُ إذ حَـمَـلْـتُـك جنبي
اذرعُ الـلـيـلَ حــين يـدعـونـيَ الحزْ
نُ مـنـادٍ مــن كــلِّ حَـــدْبٍ وصَــوب
فَـــأُعَـــاديـــهِ طـائـعًـا وأنـــا مـا
كـنـتُ يـومًـا لـغـيرِ حـزنـي الـمُلبِّي
ثُـــمَّ آتـيـكَ مـنـه بـالـكـأس كـي تَشْـ
ـربَـهـا تـسـتـحـثُّ نـخـبًا بِـنَـخْـب
بـــينَ ثـــانـــيَّـــةٍ وثـــالـــثـــةٍ والـــعَـــدُّ
لا يـــنـــتـــهـــي وأنـــــتَ بـقـربــي
كـــانَ يـكـفـي بـــأن أراكَ خَـلـيًّـا
فـــي مـــكـــانٍ مـــنَ المـبـاهـج رَحْــب
لِأَجُــــرَّ الـــهـــمـــومَ نـــحـــوكَ جـــرًّا
وأُرَبِّـــــي مــن جـنـسـها مَـــا أُرَبِّـــي
عَـجـبـي مــنـكَ كـيـف تـحـمـلُ أثـقـا
لـي وتــرمــي بـهـا إلـى قَــعْـرِ جُـبِّ

لا تَـنِـي تحـسـبُ الـدقـائـقَ مـن عُـمْـ
ـريَ دومًـا مـا بـين سـهـلٍ وصَـعْـب
أنـتَ جـمَّـعـتَ كـلَّ مـا أقـتـنـيـهِ
مِـن مَـراءٍ تُجْـلـي الـعـقـولَ وتسبي
وحَـبَـسْـتَ الأسـرارَ فـي حـيـثُ لا أذْ
نٌ ولا عـاتـبٌ يُـكَـثِّـرُ عُـتبي
أيُّ بـحـرٍ فـي عـمـقـهِ يـعـجـزُ الـغَـوْ
وَاصُ والمـوجُ بـيـنَ طـافٍ ولُجْـب
أنـتَ دنـيـا مـن الأعـاجـيـبِ لا تَـفْـ
ـتَـأُ تُـبـدي مـن الـفـنـون المـخَـبِّـي
أنـتَ نـورُ الـحـيـاةِ تُـطْـفَـأُ أن أطْـ
ـفَـأْتَـهـا أو تُـضِـيـئَـهـا بـالـشُّـهْـب
نَـبِّـنِـي عـنـكَ أيـهـا الـقـلـبُ واصْـدُقْـ
ـنـي وأنـتَ فـي الـحـادثـاتِ المـنـبِّـي
وَدلـيـلـي إذا فَـقَـدْتُ دلـيـلـي
وصـديـقـي إذا تَـغَـيَّـبَ صَـحـبـي
هـل تـرانـي كـمـا أراكَ وهـل تَـرْ
حَـمـنـي مـنـك ان تـفـاقـمَ خَـطْـبـي
ويـقـرُّ الـقـرارُ فـي الـصَّـدرِ مـا عشْـ
ـتُ ويـرتـاحُ فـي الـمَـواطِـنِ لُـبِّـي
أم تـرى سـوف مـثـلـمـا كـنـتَ تبقـى
تَـسـتَـحـثُ الخُـطـى لِـسَـلْـبـي ونَـهْـبـي
قُـلَّـبًـا حُـوَّلًا لأنـكَ قَـلْـبُ
لا يَـرومُ الـسُّـلـوانَ فـي أيِّ شِـعْـب

المستشفى العسكري

١٩٩٨/٣/٦

****

تونس

أَطْلِقِيني أنا المقَيَّدُ بالحبْـ
ـبِ أيَا تونسَ الهوى أطلقيني
مُذْ تفيَّأتُ ظلَّكِ الوارفِ الفَيَـ
ـنانِ أَشْفَقْتُ من سهامِ العُيون
فَصِلِيني اذا توزعت في الآ
فاقِ في دارِ غربتي فَصِليني
كنتِ أنتِ الذي أبانَ بياني
واسْتَوتْ فيكِ غِيرتي وجُنوني
وعَزفتُ الحبَّ الكبيرَ ومَن غَيـ
ـركِ يَشْفي بالقربِ نارَ حَنيني
نُورِكِ المزدهي أمِ الخُضرةُ الولْـ
ـهَى أم البحرُ مائجٌ بالفُتُون
أمْ حكايا التاريخِ تُرْوَى عنِ الأجْـ
ـدادِ والليلُ سابحٌ في السُّكونِ
خَلَّدتْكِ الأيامُ لم تستطعْ أنْ
تَتَحدَّاك في زحامِ القُرون
لو يذوقوا من حُبِّها مثلما قدْ
ذقتُ لاستسلموا لحُضنٍ أمين
أنا نَضَّدْتُ ذكرياتي على أرْ
ضِكِ ما بينَ ظاهرٍ ودفينِ

وصَـحِـبـتُ الأحــزانَ طـورًا فَـطَـوْرًا

لـم أجِـدْ فـي مَـسـيـرتـي مـن مُـعـين

عَـاتِـبـيـنـي إنْ شـئـتِ إنَّ عـتـابَ الـ

أمْ مِـنْ حُـرْقَـةِ الجـوَى يُـشْـفِـيـنـي

وصِـلِـيـنـي فـلـيس غـيـرُكِ أهــوا

هُ ولا أصـطـفِـيـه أو يَـصْـطَـفـيـنـي

أنـا إن قـلـتُ تـونـسٌ فـتَّـحَ الـزهْـ

ـرُ وغَـنَّـتْ أطـيـارُهـا فـي الـغُـصـون

أنـا إنْ قـلـتُ تـونـسٌ رقـصَـتْ فـي الـ

ـقـلـبِ ذكـرى الـصِّـبَـا بـزهـوِ الـسِّـنـين

أنـا إنْ قـلـتُ تـونـسٌ يـزهـرُ المجـ

ـدُ عـلـى كـلِّ هَـضْـبَـةٍ وحَـزُون

أنـا إنْ قـلـتُ تـونـسٌ يـشـمـخُ الـتَّـا

ريـخُ فـي طـلـعـةِ الـصَّـبـاحِ الـمُـبـين

ثـمْ تَـشَـمَّـمـتُ عـطـرَهَـا فـتـداويـ

ـتُ ومَـرَّغـت فـي ثـراهـا جـبـيـنـي

هـيَ أنـشـودتـي إذا مـا تَـغَـنَّـيْـ

ـتُ بـهـا أو لَـهـا وفـاضَـتْ شُـجـونـي

كـلُّ شـبـرٍ بـأرضـهـا مَـهْـبـطُ الـرُّو

حِ أُفَـدِّيـهِ بـالـعـزيـزِ الـثَّـمـين

وأراهُ بِـعَـينِ قـلـبـي إنْ غِـبْـ

ـتُ ولا شـيءَ بـعـدَهُ يَـغْـنِـيـنـي

المستشفى العسكري

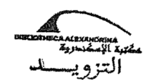
١٩٩٨/٣/١٧

****

أبونــواس[1]

يـبـتـدي نــازحًــا شـريـدا	ثـــمَّ مـــن بـعـدِهـا طـريـدا
إنْ تَــقُــلْ إنَّـــهُ الـشـهـيـ	ــدُ فَـــأكــرمْ بـه شـهـيـدا
أتـــــــراهُ يـــزيـــدُ قـــدْ	عــادَ مُـسْـتَـنـسَـخًـا يـزيـدا
يـسـهـرُ الـكـرخَ وهْـــوَ عيـ	ــدٌ ويُـغْـلِـي بـه الـنَّـشـيـدا
كـم بـكـى شَـــجْـــوَهُ فَـحيْـ	ــيَـرَ مـن دمـعـهِ الـقـصـيـدا
ســـــادرٌ لـيـس يَــرعـــوي	وبـــه الــدهـــرُ لـن يـجــودا
ظـالـمٌ وهـــوَ مَـــن بــهِ الـظْـ	ـظُـلْـمُ قـد حـاقَ واسـتـزيـدا
قـمـرُ الـنَّـخْـلِ يــا سـمـ	ـيـرًا هـنـا سـامـر الـوجـودا
مـــن أبـــاريـــقِـــكَ الـتـي	جَـعَـلـتْ وغْـدَهَـا وعـيـدا
غـيــرَ أنَّ الــــذي تــريْـ	ــدُ مـضـى ممـعـنًـا بـعـيـدا
قــد عَـــرَفْـــتَ الـحـيـاة تَـحْـ	ــتـزُّ مـن حُـبِّـهـا الـوريـدا
كـــم ســـــؤالٍ ولا جَـــوا	بٌ وكـم مِـن هـوًى أُبـيـدا
تـــعـــبٌ إن حـمـلـتـهُ	ضــائـعٌ إنْ غــدَا وحـيـدا
لـــم يـكـنْ مـثـلَـهـمْ ولا	أحـــدٌ مـثـلَـهُ اسْـتَـجـيـدا
أثْـقَـلَـتْـهُ تجـــاربُ الـ	ـعـمْـرِ والـعـمـرُ لـن يـعـودا

(١) ليس هو الأسطورة ولا هو التاريخ، ولكنه الذي لا يشبهه أحد.



فـأتـى يُـحْـكِـمُ الأدا ءَ ويَسْتـشـرفُ الحـدودا
نـافـذٌ ينـثـرُ الـكـلا مَ ويستـقـبلُ الـولـيـدا
عَـازفٌ لـم يَـدَعْ بـهـا وتَـرًا فـي الـدُّنَـى فـريـدا
يغتلي الشَّوقَ في جوا نحـهِ ثـائـرًا عـنـيـدا
والمـدى لا يـرام والْـ ـمدُّ لا ينتهي شـديـدا
لَـطُـفَ الجـوُّ عـنـدَهُ وصبَـا مـا صَـبـا عنيدا
دأبُـهُ القنصُ يا تُـرَى غلبَ الصائدُ المصيدا
طـالـبًـا كـلَّ مستحيـ ـلٍ بـه يـقـهـرُ الحـديـدا
كـان ثـانـيْ ثَـلاثـةٍ خَـلَّـدُوا ذكـرَهـا عـهـودا
الـنـواسـيُّ ثـم بـغـدا دُ تستقبلُ الرشـيـدا
كـان وعْـدًا فـأنجـزَ الـ ـوعـدَ فـي ظلِّهم حميدا
وارتَـوى مـن مَـعِـيـنـهـمْ زمـنٌ لـم يـزلْ لـدودا
والأسَـاطـيـرُ فَـتَّـحَـتْ فـي أراضـيـهـمُ الـورودا
ظـهـرتْ ألـفُ لـيـلـةٍ تـنشـرُ الـغـابـرَ المجـيـدا
تـارةً راضـيًـا وآو نـةً يـسـكـنُ الجـحـودا
لاهـبُ الـقـلـبِ نـارُهُ أبـدًا لاتـرى الخـمـودا
يَـتَـخـطَّـى زمـانَـهُ مُـرغـمًـا جـهـده الجـهـيـدا
فَـهْـوَ فَـذٌّ لـكـلِّ عَـصْـ ـرٍ وأكْـرِمْ بـه عـمـيـدا
إنْ هـجَـا فـهْـوَ سـاخـرٌ يقتفي الحاقـدَ اللـدودا

أو رثَى فهوَ جالبُ الـ ـحزنِ يكوي به الجلودا
وإذا ما أحبَّ كَسْـ ـسَرَ مِن حبِّهِ القيودا
سابحٌ في متاهةِ الذْ ـذاتِ يمشي بها وئيدا
ليس يسلو الدِّنانَ والـ ـبالياتِ والرُّقودا
مُسْتفيقًا على الوجو دِ يرى الحقَّ أن يحيدا
قد وعى كلَّ عصرِهِ سابحًا بحرَه المديدا
تلكَ بغدادُ ما ونَتْ تقهرُ الباغيَ المريدا
تزدهي في صحائفِ الدْ ـدَهرِ لا ترتضي السَّنيدا
قَهَرتْ كل ظالمٍ وغدتْ تسحبُ البُرودا
هِيَ والنخلُ توأما نِ وللنخلِ أنْ يَميدا
أيها العاشقُ الذي لم يزلْ يطلبُ المزيدا
عَصَرَ الشِّعرَ من أحا سيسهِ مُبدئًا مُعيدا
نازفًا من جراحهِ ضاريًا يقهرُ النُّجودا
واقِفًا مثلَ دوحةٍ بَسَطتْ ظِلَّها الرَّغيدا
أتراكَ اسْتفقت والْـ ـموتُ يستنزفُ الكُبودا
وعرفتَ الذنوبَ كُثْـ ـرًا تراها العيونُ سودا
فَخلطتَ الإيمانَ بالْـ ـعفوِ تستعطفُ المجيدا
وهْوَ أوْلَى بالعفو والصْـ ـصَفْحِ إن مذنبًا أقيدا

٢٠٠٠/١/١٨

****

المحتوى

****

مطبعة السياسة
ت: ٢٤٨٤٣٦١٠/٢٤٨٤٣١٥١

- ولد عام ١٩٣٢ بنفطة بالجنوب التونسي.

- نشأ في أسرة تهتم بالأدب، وكان والده متصوفًا وشاعرًا.

- شارك في مهرجانات كثيرة داخل الوطن وخارجه.

- من دواوينه الشعرية: كلمات للغرباء ١٩٦٩، حامل المصابيح ١٩٧٠، السجن داخل الكلمات ١٩٧٥، مدن معبد ١٩٧٦، الرباعيات ١٩٧٦، الفصول ١٩٨٠، طلع النخيل ١٩٨٠، البدايات والنهايات ١٩٨٧. وله في شعر الأطفال: الطفل والفراشة الذهبية ١٩٧٥، أغاني الطفولة ١٩٧٥، محاورات الأطفال ١٩٧٩، مسرحيات الأطفال ١٩٨٠، براعم الطفولة ١٩٩٢.

- من مؤلفاته: صور وذكريات مع مصطفى خريّف، المختار من الشعر الشعبي التونسي، أحمد بن موسى حياته وشعره، محمد شقرون حياته وشعره، حديقة الضحك.

- حصل على جوائز تقديرية كثيرة كان آخرها الجائزة التقديرية في الفنون والآداب لرئيس الجمهورية ١٩٩١. وجائزة الإبداع الشعري لمؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري ١٩٩٢.

- توفي رحمه الله عام ٢٠١١.



الكويت
2012